

# أَفْتِرَاءَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ

عَلَى



دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

تأليف

أ.د. محمد عمارة

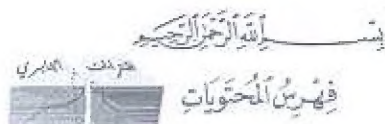
رَدُّ افْتِرَاءَاتِ الْجَابِرِيِّ

عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تَأْلِيفُ  
أ. د. محمد عمارة

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



آيات بينات مُحْكَمَات ..... ٧

تمهيد ..... ١١

( ١ ) موقف الجابري من التراث ..... ٢٥

( دراسة عن تفكيك الجابري لتراث الإسلام، لتجاوزه كله.. ولإقامة القطيعة معه.. وإحلال الحداثة الأوربية محله.. وذلك بتحويل الثابت إلى متحول.. والمطلق إلى النسبي.. واللاتاريخي إلى تاريخي.. واللازمي إلى زمني.. وتحويل العقيدة إلى رأي.. والتحرر من سلطات العقيدة والشريعة.. إلخ )

( ٢ ) الترتيب الجابري للقرآن الكريم ..... ٣٧

( دراسة لبدعة الجابري إعادة ترتيب القرآن حسب أسباب النزول.. وحظ هذه البدعة من الموضوعية.. وتناقضات الجابري في مصداقيتها )

( ٣ ) أخطاء.. لا خطايا ..... ٥١

١ - خطأ الجابري في ادعاء التناقض بين الإيمان

الإسلامي وبين البرهان ..... ٥٢

- ٢ - خطأ الجابري في ادعاء التناقض بين العبادات  
الإسلامية وبين العقل ..... ٦٣
- ٣ - خطأ الجابري في ادعاء رفض الحنابلة للتحسين  
والتقبيح بالعقل ..... ٦٨
- ٤ - خطأ الجابري في ادعاء التناقض بين التجربة  
الروحية وبين الحس والعقل ..... ٧٢
- ٥ - خطأ الجابري في مساواته القرآن بالتوراة  
والإنجيل ..... ٧٤
- ٦ - خطأ الجابري في ادعاء محاكاة القرآن للتوراة في  
قصص الأنبياء ..... ٧٦
- ٧ - خطأ الجابري في الموقف من معجزة الإسراء  
والمعراج ..... ٨١
- ٨ - خطأ الجابري في فهم معنى مصطلح « الإسلام »  
وتاريخ استخدامه ..... ٨٤
- ٩ - خطأ الجابري في نفي الصديق التاريخي عن القصص  
القرآني .. ودعواه أن محاورات الأنبياء مع أقوامهم -  
التي حكّاها القرآن - لم تقع أصلاً ..... ٨٧
- ( ٤ ) خطايا .. لا مجرد أخطاء ..... ٩١
- ١ - خطيئة الجابري في إنكار عقيدة العصمة للأنبياء

والمرسلين.. وفي الصورة الشاذة التي رسمها لرسول  
الله ﷺ وشذوذه عن إجماع الأمة وعلمائها في هذا

الموضوع ..... ٩١

٢ - خطيئة الجابري في تصويره لرسول الله ﷺ  
والمهاجرين من صحابته « قُطَاع طرق ».. باحثين عن  
الغنيمة.. وتصويره الهجرة وأدبياتها مشروعا للحرب

والقتال ..... ١٢١

٣ - قسمة خطايا الجابري في نفيه الحفظ الإلهي  
للقرآن الكريم.. وادعائه أن المصحف الإمام - مصحف  
عثمان - الذي اجتمعت عليه الأمة لم يضم كل القرآن..  
وأن تدوينه قد حدثت به أخطاء.. ونسيان.. وسهو..  
وتبديل.. وتغيير.. وحذف.. ومحو.. واقتراعه على  
علماء الإسلام بادعائه إجماعهم على الاعتراف بهذا

الذي افتراه ..... ١٤٣

وبعد ..... ١٩٧

( ختام يوجز - بنصوص الجابري - معالم مشروع  
دراسته عن القرآن الكريم - تعريفاً وتفسيراً - وما وقع  
فيه من أخطاء من منهجية وعلمية.. وما سقط فيه

جهالات واقتراءات ) ..... ١٩٧

٢٠١ ..... المصادر والمراجع

٢٠٧ ..... السيرة الذاتية للمؤلف

\*\*\*



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَلَّمَ الْقُرْآنَ



## آيات بينات مُحْكَمَات

- ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].
- ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِن عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].
- ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].
- ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَكِن تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الْآلِئِ وَهُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ أَعَدَّتْ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].
- ﴿وَأَنزَلْنَا مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنُحْجِدَ مِن دُونِهِ مُتَعَدِّيًا﴾ [الكهف: ٢٧].
- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ يُكْتَبُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ مَثَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٣١﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٤، ١١٥].
- ﴿سُفِّرَتْكَ فَلَا نَفْسَ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَيُخَوِّفُكَ لِلْإِسْرَىٰ﴾ [الاعلى: ٦ - ٨].

- ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۖ ﴿٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۖ ﴿٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَلْقِ قُرْآنَهُ ۖ ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۖ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩].
- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۖ﴾ [الحجر: ٩].
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۖ﴾ [الفرقان: ٣٢].
- ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۖ﴾ [المائدة: ٦٧].
- ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِيدِينَ ۖ﴾ [الأنفال: ٣٠].
- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۖ﴾ [التوبة: ١٢٨].

- ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۖ﴾ [الأحزاب: ٥٦].
- ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنتِي بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلِذِينَ هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِّنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أَذِخْنَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ۖ﴾ ﴿٣٥﴾ لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْآلَمِ ﴿٣٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلًا ثُمَّ مَا وَهُمْ جِهَتُهُمْ وَيَتُوسُ الْمُهَادُ ۖ﴾ [آل عمران: ١٩٥ - ١٩٧].



• ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأَ وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

• ﴿أَوْلِيَّكَ كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلِيَّكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

• ﴿أَوَلَمْ يَلِدْزِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوْمُغُ وَبِيعَ وَصَلَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَئِنْ صُرْتُ اللَّهُ مِنْ بَنَصْرَةٍ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

• ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْسَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْسِدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

• ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٣٠﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٣١ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا أَلَدُ حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [نصحت: ٣٢ - ٣٥].



كانت المرة الأولى التي أرى فيها المرحوم الدكتور محمد عابد الجابري [١٣٥٥ - ١٤٣١ هـ / ١٩٣٦ - ٢٠١٠ م].. وأقرأ له، وأسمع منه، في « الندوة » التي عقدها « مركز دراسات الوحدة العربية » حول « الحوار القومي الديني » - بمدينة القاهرة في [ ٢٥ - ٢٧ سبتمبر ١٩٨٩ م ].

ويومها حدث خلاف بيني وبين الجابري حول فكرتين من الأفكار التي تضمنتها بحثه في الندوة « حول الحوار القومي الديني »:

أولاهما: قوله: « إن الإسلام مقوم من مقومات القومية العربية ».. ولقد رفضت - في التعقيب المكتوب وفي الحوار - هذا الاختزال للإسلام - في علاقته بالعروبة والقومية العربية -.. ونبهت على أن هذه المقولة كان يقولها فيلسوف « البعث العربي » المرحوم ميشيل عفلق [ ١٣٢٨ - ١٤٠٩ هـ / ١٩١٠ - ١٩٨٩ م ] في بدايات مشروعه القومي.. ثم حدث تطور لفكر الرجل.. فقال: « إن القومية العربية قد ولدت ولادة جديدة في ظل الإسلام.. وإن الإسلام هو الأصل، والمحور، والمكوّن الأول، والأب الشرعي للقومية العربية

والأمة العربية..».

وبعد أن كان يقول: «الثومية أولاً» أعلن في السنوات الأخيرة من حياته: «أن الإسلام أولاً»<sup>(١)</sup>.

وتعجبت - في تلك «الندوة» - من أن يتجاوز عفلق مقولته تلك، بسما يتمسك بها الجابري!

والفكرة الثانية: أنني اختلفت حولها مع الجابري هي قوله: إن تحقيق التراث يقتضي العودة إليه، واستيعابه، وذلك لتجاوز كل التراث!

ولقد نيت - يومها - على أن هذه «الفكرة الخطرة» تعني القطيعة مع التراث!.. وهو ما لم يحدث حتى في الحداثة الغربية، التي وإن قامت قطيعة معرفية كبرى مع التراث الديني لأوروبا عندما أحلت دينها الطبيعي - الحداثة - محل الدين الإلهي، إلا أنها قد أحيت تراث الإغريق والرومان - وخاصة في الفلسفة والقانون والآداب والفنون - وأقامت نهضتها الحديثة على «كلاسيكيات» هذا التراث..

وكذلك كان حال كل النهضة في كل الأمم والحضارات حتى شيوعية «ماوتسي تونج» [١٨٩٣ - ١٩٧٦ م] قد أحيت

---

(١) انظر - عن مكانة الإسلام في المشروع الفكري لعيشيل عفلق - كتابنا التيارات القومية الإسلامية، طبعة دار الشروق، القاهرة، سنة (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)



كانت المرة الأولى التي أرى فيها المرحوم الدكتور محمد  
عابد الجابري [١٣٥٥-١٤٣١ هـ / ١٩٣٦-٢٠١٠ م].. وأقرأ  
له، وأسمع منه، في « الندوة » التي عقدها « مركز دراسات  
الوحدة العربية » حول « الحوار القومي الديني » - بمدينة  
القاهرة في [ ٢٥ - ٢٧ سبتمبر ١٩٨٩ م ].

ويومها حدث خلاف بيني وبين الجابري حول فكرتين من  
الأفكار التي تضمنها بحثه في الندوة « حول الحوار القومي  
الديني » :

أولاهما: قوله: « إن الإسلام مقوم من مقومات القومية  
العربية ».. ولقد رفضت - في التعقيب المكتوب وفي  
الحوار - هذا الاختزال للإسلام - في علاقته بالعرفية  
والقومية العربية -.. ونهيت على أن هذه المقولة كان يقولها  
فيلسوف « البعث العربي » المرحوم ميشيل عفلق [ ١٣٢٨ -  
١٤٠٩ هـ / ١٩١٠ - ١٩٨٩ م ] في بدايات مشروعه القومي..  
ثم حدث تطور لفكر الرجل.. فقال: « إن القومية العربية قد  
وُلدت ولادة جديدة في ظل الإسلام.. وإن الإسلام هو الأصل،  
والمحور، والمكوّن الأول، والأب الشرعي للقومية العربية

وجددت جوانب من الكونفوشيوسية. ولم يحدث أن أمة من الأمم العريقة قد بنت نهضتها على « تجاوز كل التراث »! وأذكر أن الجابري - عليه رحمة الله - قد توتر يومها عندما سمع مني هذه الملاحظات<sup>(١)</sup>. لكن فرت الندوة.. وظلت هذه الذكريات عن أول لقاء جمعني بهذا المفكر العربي الكبير.

○ ومضت الأيام.. وكان « مركز دراسات الوحدة العربية » وقطاعات من التيار العربي بالشرق - والعلمانيون منهم على وجه الخصوص - يعانون من آثار هزيمة المشروع الناصري في [ ١٩٦٧ م ]. ويحاولون التعويض عن هذا التراجع بتبني المشروع الفكري للجابري، كبديل للمشروع الإسلامي الذي تصاعدت به الصحوة الإسلامية منذ سبعينيات القرن العشرين.. الأمر الذي جمع حول مشروع الجابري خليطاً من القوميين.. والعلمانيين.. والليبراليين.. بل وشريحة من اللادينيين.. يحاول كل فريق من هؤلاء جر فكر الجابري إلى رصيده، وتفسيره على النحو الذي يزكي نهجه وغايته..

○ وكانت المرة الثانية التي رأيت فيها الجابري بالمملكة

(١) انظر: الحوار القومي الديني (ص ١٢٢)، طبعة مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، ديسمبر (١٩٨٩ م).



العربية السعودية - بقرية « الجنادرية » - إبان « المهرجان الوطني السعودي للثقافة ».. ويومها لاحظت محاولات المتدينين السلفيين التحرش بالرجل، بينما احتفى به والتف حوله العلمانيون والليبراليون والحداثيون، الذين يقيم كثير منهم قطيعة معرفية كبرى وحادة مع الإسلام، ربما كراهة للجسود والتقليد الذي اشتهر به قطاع من « المؤسسة الدينية ».. حسبه الحداثيون - خطأ - على الإسلام!.. ولقد قرأت عن الحراسة الأمنية التي كانت تقيمها الأجهزة - بالمملكة - للجابري خلال زيارته للسعودية.. مخافة تحرشات المتدينين السلفيين!..

○ وعندما أصدر الرجل - في عقد التسعينيات من القرن الماضي - مجلته ( فكر ونقد )، تفضل بإرسال أعدادها إلي على عنواني بالقاهرة.. فأتاحت لي قدرًا من التعرف على بعض ملامح مشروعه الفكري الكبير، وعرضتني عن عدم المتابعة لكتبه العديدة التي حملت معالم هذا المشروع، الذي أعتقد أنه واحد من المشاريع المهمة في حياتنا الفكرية في السنوات الأخيرة..

○ وكنت كلما سنحت الفرصة بلقاء بعض المثقفين والمفكرين المغاربة، أسأل عن المسيرة الفكرية لهذا الأستاذ الكبير.. ولقد سررت كثيرًا عندما قيل لي: إن الرجل قد قلل من انحيازه للعلمانية، ومن نقده للصحة الإسلامية،

بعد الحرب الأمريكية الغربية على العراق سنة [ ١٩٩١ م ] -  
 حرب «عاصفة الصحراء» - وذلك إدراكاً من الرجل لتصاعد  
 الهيمنة الغربية على الوطن العربي، وإدراكاً منه لدور التيار  
 العلماني في خدمة التغريب.. وتندوز الصحوة الإسلامية  
 - كالقوة العربية الأولى - في ميدان المقاومة لهذا الزحف  
 الأمريكي الجديد - الذي أطلق عليه - يومئذ - « النظام  
 العالمي الجديد » .. والذي اعتبرته الإمبريالية الأمريكية  
 « نهاية التاريخ » !..

سررت كثيراً، عندما سمعت من بعض المثقفين المغاربة،  
 عن هذا التطور في فكر الجابري ومواقفه.. فالرجل -  
 بنظري - مفكر كبير، وصاحب مشروع فكري له في النخبة  
 القومية والوطنية تأثير ملحوظ.. ثم إنه « وطني » و « عربي »  
 و « قومي »، لا يختلف حول انتمائه هذا من يتحلى بقدر من  
 العدالة والإنصاف:

○ ومضت الأيام دون أن تتاح لي - بسبب المشاغل  
 الفكرية - أن أتجاوز موقع « المراقب » لمشروع الجابري،  
 ولمسيرته الفكرية..

وكان يعجبني في الرجل فضيلة كنت قد التزمتها منذ بداية  
 مسيرتي الفكرية.. وهي العزوف عن الرد على منتقديه..  
 وذلك إيماناً بأن العمل الفكري عندما يوضع بين يدي القراء،  
 فإنهم يصبحون شركاء للمفكر في ملكيته.. وأنه كما أن من

حق البعض أن يشي على هذا العمل الفكري فإن من حق الآخرين أن يوجهوا له الانتقادات.. وإنه من الخير للمفكر والمؤلف - بعد الفراغ من العمل الفكري - أن ينصرف إلى عمل فكري آخر، بدلاً من أن يضع جهده ويشغل نفسه، ويشغل الناس بالرد على منتقديه..

لقد التزم الجابري - عليه رحمة الله - بهذه الفضيلة عندما تعرض مشروعه الفكري للنقد - الذي جاء من التيار العلماني - ممثلاً في جورج طرايشي أساساً.. وحسن حنفي أحياناً، أو من التيار الإسلامي - ممثلاً في الفيلسوف الكبير الأستاذ الدكتور طه عبد الرحمن - ولم أقف كثيراً عند رأي الذين أرجعوا موقف الجابري هذا إلى «التعالي».. فالمهم الموقف.. أما النوايا فعلمها عند الله.

○ ومريت الأيام.. ونوقشت بقسم الفلسفة في كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - أواخر سنة [ ٢٠٠٨ م ] رسالة دكتوراه، أعدها الباحث محمد علي أبو هندي عنوانها ( مشروع النهضة بين الدكتور محمد عمارة والدكتور محمد عابد الجابري ).. وهي عمل فكري كبير، تجاوزت صفحاته الخمسمائة صفحة، وأحاط فيه الباحث بكل مفردات المشروع الفكري لكتاب هذه الدراسة.. وللدكتور الجابري<sup>(١)</sup>

(١) لقد طبعت دار السلام - بالقاهرة - هذه الرسالة الجامعية بعنوان ( مشروع النهضة بين الإسلام والعلمانية: دراسة في فكر محمد عمارة )

ولقد قدمني الباحث - محمد علي أبو هتدي - في دراسته هذه عن مشروع النهضة - نموذجاً للرؤية الإسلامية.. وقدم الجابري نموذجاً للرؤية العلمانية..

وعندما تصفحت هذه الرسالة الجامعية - وقد أهداني الباحث نسخة منها - أتيت لي الفرصة للاطلاع على ما لم أكن قد أحطت به من أفكار الجابري، وخاصة ما تعلق منها بالإسلام.. وعلى وجه أخص بما طرحه في كتابه الأخير عن القرآن الكريم..

ولقد أشفت - ولا أقول غضبت - من الشذرات التي اطلعت عليها - في الرسالة الجامعية - حول ما بدا لي «مجازفات» وقع فيها الجابري حيال القرآن الكريم..

❶ وفي هذا السياق، زارني صديق مغربي عزيز، وكاتب ومثقف كبير، واسع الاطلاع هو الأستاذ عبيد القادر الإدريسي.. وتطرق الحديث إلى الدكتور الجابري، فقال لي الأستاذ الإدريسي: «إن كتابه عن القرآن - (مدخل إلى القرآن الكريم)، والجزء الأول منه (في التعريف بالقرآن) - قد أحدث «صدمة» في الحياة الفكرية بالمغرب، ولدى الرأي العام الإسلامي المغربي على وجه الخصوص..

❷ ثم حدث أن دُعيت - يوم [ ١١ مارس ٢٠١٠م ] -

للمشاركة في مناقشة وتحكيم رسالة دكتوراه بقسم الفلسفة في كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - لباحث مغربي هو حسن موحى باقي - وهو مغربي يعيش في هولندا - عن ( مناهج تجديد الفكر الإسلامي المعاصر في المغرب ).. وفي فصول هذه الدراسة المتميزة - التي استغرقت مني في القراءة والفحص قرابة الشهر - عايشت معالم التجديد بالمغرب، لدى تيارات الفكر المختلفة - السلفية.. والصوفية.. والعلمانية والحدائية - الأمر الذي أتاح لي المزيد والمزيد من الوقوف على أفكار الأستاذ الجابري.. وينصوبه هو، التي ساقها الباحث.. ومنها خصوص « المجازفات » - بل « الافتراءات » - التي وقع فيها الجابري خيال القرآن الكريم..

ومنذ ذلك التاريخ، أخذت أبحث عن كتابه ( مدخل إلى القرآن الكريم: في التعريف بالقرآن ) - وهو سفر كبير قاربت صفحاته الخمسمائة صفحة -.. وعن تفسيره للقرآن، الذي أسماه ( فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول ) - والذي صدر في ثلاثة أقسام.. تقرب صفحاتها من ( ١٣٠٠ صفحة ) - أخذت أبحث عن هذا العمل الفكري - الذي زادت صفحاته عن ( ١٧٠٠ صفحة )، لأبين - على نحو مباشر - حقيقة موقف الجابري من القرآن الكريم.



لقد كان الرجل دائم الإعلان عن أن القرآن الكريم شيء  
والتراث - الذي خصص له مشروع الفكر - شيء آخر...  
وبعبارة هو: «لقد أكدنا مراراً أننا لا نعتبر القرآن جزءاً من  
التراث»<sup>(١)</sup>.

أي أن القرآن عنده - كما هو عند كل مسلم - «مقدس»..  
بينما التراث - الذي - دعا الجابري إلى تحقيقه وتفكيكه  
واحترائه لتجاوزه كله - ليس مقدساً.. فأردت أن أعرف -  
بشكل مباشر، وليس بواسطة ما ورد بالرسالتين الجامعتين -  
ماذا قال الجابري عن «المقدس».. عن القرآن الكريم؟..

وبعد بحث ومتابعة حصلت على ما كتبه الجابري في  
التعريف بالقرآن.. وفي تفسيره له - وفق إعادته لترتيب  
سوره - حسب أسباب النزول ومسيرة الدعوة الإسلامية -..  
حصلت على هذا العمل الكبير أثناء معرض القاهرة الدولي  
للكتاب [يناير سنة ٢٠١٠ م]، فعكفت - منذ ذلك التاريخ -  
على دراسة هذا العمل الكبير، الذي أنجزه الدكتور الجابري  
في وقت وجيز جداً!!..

○ ولقد قرأت - في النصفحات الأولى لمدخل الجابري  
إلى القرآن الكريم - أن أصدقاءه من الحداثيين السعوديين هم

(١) مدخل إلى القرآن الكريم: في التعريف بالقرآن (ص ٢٦)، الطبعة الثانية،  
مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، سنة (٢٠٠٧ م)

الذين اقترحوا عليه أن يكتب كتابه القادم عن القرآن!.. وبعبارة: « فلقد اقترح عليَّ صديق من السعودية ونحن على سيارته، متجهين إلى « عزيمة » عشاء في منزل صديق مشترك بالرياض، اقترح قائلاً: لماذا لا يكون الكتاب المقبل في القرآن؟ »<sup>(١)</sup>.

أي أن الحداثيين الذين تعلقوا بموقف الجابري في مواجهة المشروع الإسلامي والصحوة الإسلامية.. وتحسروا التفكير للتراث، وتجاوزة كله.. هم الذين اقترحوا عليه أن يقتحم هذا الميدان!.. ميدان « المقدس »!..

وقرأت - أيضًا - في الصفحات الأولى من هذا المدخل إلى القرآن الكريم.. أن الجابري قد عزم على الدخول إلى حقل دراسة القرآن وتفسيره - وفق أسباب النزول عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة [ ٢٠٠١ م ] - أي في سياق تصاعد الحملة الصليبية الأمريكية الغربية على الإسلام وأمنه وحضارته - وهي الحملة التي طالت القرآن الكريم -.. وبعبارة الجابري: « فإن التفكير في تأليف هذا الكتاب، قد جاء - بصورة ما - نوعاً من الاستجابة لظروف ما بعد أيلول/ سبتمبر سنة [ ٢٠٠١ م ] »<sup>(٢)</sup>.

وهي عبارة إن حددت « السبب » فإنها لم تحدد « المقاصد »

(١) مدخل إلى القرآن الكريم (ص ١٤).

(٢) المرجع السابق (ص ١٥).

من وراء العزم على تأليف هذا العمل الفكري الكبير.

\*\*\*

ولقد شاء الله ﷻ أن يرحل الدكتور الجابري عن عالمنا في [ ٣ مايو سنة ٢٠١٠ م ]، بعد أن قطعت شوطاً كبيراً في دراسة عمله الكبير عن القرآن الكريم وتفسيره له.. وبعد أن جمعت أغلب المادة العلمية، التي حددت اتجاه هذه الدراسة النقدية لما كتبه الجابري عن القرآن - من «عجازفات» بل «افتراءات» - !!، ويومها - وأمام جلال الخبوت.. وأمام رحيل المفكر الكبير عن عالمنا - خطرت لي أن أضيع حصيلة هذا الجهد الذي بذنته في «الأدراج».. وأن أصرف النظر عن هذه الدراسة النقدية، لفكر الرجل الذي غادرنا إلى رحاب مولاه..!

وبعد أيام من التردد والقلق.. قلت لنفسني:

صحيح أن الجابري - الجسد قد رحل عن عالمنا، كما سرحل نحن، وكما رحل وسرحل كل من وما عدا الله ﷻ لا إله إلا هو كل شيء هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴿التقصص: ٨٨﴾. و ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَسَبْقَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ الرحمن: ٢٦، ٢٧.. لكن المشروع الفكري للمرحوم الجابري قائم.. قرأه وبقروا الناس.. وأغلب الظن أن كتبه سيعاد طبعها إلى ما شاء الله.. ومن ثم، فمن حق هذا الفكر.. ومن حق قراء هذا الذي كتبه الجابري عن القرآن الكريم - خاصة - أن يقال فيه كلمة..

إن الرجل - في حدود قهني - لم يكن يضيق - في حياته - بالنقد.. وأنا أتمنى أن لا تضيق روحه بالنقد الذي تقدمه صفحات هذه الدراسة.. خصوصاً وأن الأمر يتعلق «بالمقدس» وليس «بالتراث» وهو خاص بالوحي الإلهي، الذي خرجت من بين دفتيه المعالم والمفاهيم لهذه الأمة: عقيدتها.. وشريعتها.. وقيمها.. ومدنيتها.. وحضارتها.. فالقرآن الكريم هو «الرحم» الذي وُلدت منه أمة الإسلام.. ومنه تبلور الدين، الذي تصاعدت وتتصاعد ضده الحرب الصليبية التي زاد شعارها واشتد أوارها منذ [ ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م ] - الذي فكر عنده وبسببه المرحوم الجابري في أن يكتب عن القرآن الكريم..

لقد ختم الجابري حياته الفكرية بهذا الذي كتبه عن القرآن - تعريفاً.. وتفسيراً - وإذا كان فكرنا النقدي قد قام ويقوم - دائماً وأبداً - بالدفاع عن مقدسات الأمة - والقرآن في صدارتها - بصرف النظر عن حياة وموت الكتاب والمفكرين.. فإن من واجبنا - وأيضاً من حق المشروع الفكري للأستاذ الجابري، ومن فروض الاحترام لقراء مشروعه الفكري - أن نعرض لدراسة هذا الذي كتبه عن القرآن الكريم..

وهكذا رجحت - عندي - كفة المضي في كتابة هذه الدراسة.. التي نرجو أن يكون ما فيها من نقد وتصويب مرشداً لقراء كتاب الجابري عن القرآن الكريم ومن ثم

« مُزِيلًا » لما فيه من تأثيرات سلبية على عقول القراء...  
 الأمر الذي نرجو به من الله أن يغفر للجابري.. وأن  
 يغفر لنا وإياه ﷺ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

إنه - سبحانه - خير مسئول وأكرم مجيب.

٢٧ رجب ١٤٣١ هـ

٩ يوليو ٢٠١٠ م

أ. د. محمد عمار



## موقف الجابري من التراث

لقد سبق وأشرنا إلى بحث الجابري الذي قدمه إلى ندوة « الحوار القومي الديني » التي عقدها « مركز دراسات الوحدة العربية » - قى [ ٢٥ - ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٨٩ م ] - وإلى الخلاف الذي حدث بيني وبينه حول مقولته: « العودة للتراث واحتوائه، لتجاوز كل التراث .. »

وكيف أنني اعترضت بشدة على الدعوة إلى « تجاوز كل التراث » وهو ما لم تفعله أمة أو حضارة لها تراث، فضلاً عن أن تكون هذه الأمة والحضارة هي الأمة الإسلامية، الذي تميز تراثها بصبغة إسلامية، صنعتها المعايير التي جاء بها ديننا الحنيف.

لكن الجابري - الذي كأنه أخذ بتسليطي الضوء على مقولته هذه، تلك التي لا تُحيي التراث، ولا تنقذ عند نقاء والانتقاء منه - مع تجاوز بعضه - .. وإنما تقيم قطعة مع هذا التراث، الأمر الذي يقيم فراغاً في مساحات الماضي، يؤدي - بالحتم - إلى أن يملأه الآخرون!

وتلك هي التجربة المرة والمأساوية، لأمتنا - ولغيرها من الأمم - التي ابتليت بالتغريب الذي جاءنا في ركاب

الغزاة الأوربيين.. فالفقطبة مع اللغة القومية أحدثت الفراغ الذي ملأته اللغات الأوروبية.. والفقطبة مع الفلسفة الإسلامية - علم التوحيد - ملأت فراغنا بالفلسفات الأوربية - الوضعية والمادية واللا دينية -.. والفقطبة مع الفقه الإسلامي والشريعة الإسلامية، ملأت فراغنا بالقوانين الوضعية الأوربية اللا دينية..

وهكذا كانت الفقطبة مع التراث - أي « تجاوزه » بعبارة الجابري - السبيل إلى أن نستبدل بترائنا تراث الغزاة؛ لأنه لا يمكن لأمة من الأمم أن تعيش بدون تراث، وأن تترك ماضيها ومرجعيتها « فراغاً ».. فالفراغ - في العلم - مستحيل الوجود، وكما قال أحد العارفين بالله:

« القلب كالإناء، إن لم يملأه ماء الحكمة والمعرفة، ملأه هواء الجهل والعصبان »!..

وماضي الأمة مثل قلبها، إن لم يملأه تراثها - بخصوصياتها المتميزة - ملأه تراث الآخرين الغرباء!..

لكن.. رغم هذه الحقيقة، التي تبليغ حد البدهة، مضى الجابري - في مشروعه الفكري، رغم « وطنيته » و « قوميته » - في طريق الدعوة إلى « تجاوز كل التراث »!.. فقال - في كتابه (حوار الشرق والغرب) :-

« إن الحداثة تبدأ باحتواء التراث وامتلاكه؛ لأن ذلك وحده هو

السبيل إلى تدشين سلسلة من « القطائع » معه إلى تحقيق تجاوز عميق له، إلى تراث جديد نصنعه، تراث جديد فعلاً.. »<sup>(١)</sup>.

فالتجاوز للتراث - عند الجابري - هو تجاوز عميق!

وقال كذلك - في كتابه ( إشكالية الفكر العربي

المعاصر ) -:

« إن الإبداع، بمعنى التجديد الأصيل، لا يتم إلا على أنقاض

قديم واقع احتواؤه وتمثله وتجاوزه بأدوات فكرية معاصرة.. »<sup>(٢)</sup>.

ولم يدع الجابري مجالاً للغموض حول تحديد ماهية

هذه « الأدوات الفكرية المعاصرة » التي دعا إلى اتخاذها

واستخدامها لتجاوز كل تراث الإسلام.. بل أعلن الرجل -

في كتابه ( الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية

نقدية ) - أن الآليات الغربية هي سبيله لتحويل تراثنا

الإسلامي إلى « أنقاض » وإلى تجاوز هذه « الأنقاض » كلها

على نحو عميق!.. وبتص عبارته:

« .. سلاحظ القارئ أننا نوظف مفاهيم تنتمي إلى فلسفات

أو منهجيات أو « قراءات » مختلفة متباينة، مفاهيم يمكن

الرجوع ببعضها إلى « كانت » [ ١٧٢٤ - ١٨٠٤ م ] أو « فرويد »

(١) الجابري: حوار الشرق والغرب، ( ص ٦٧ )، طبعة الدار البيضاء، سنة

( ١٩٩٥ م ):

(٢) الجابري: إشكالية الفكر العربي المعاصر، ( ص ٤١ )، طبعة الدار

البيضاء، سنة ( ١٩٨٩ م ):

[ ١٨٥٦ - ١٩٣٩ م ] أو « باشلار » [ ١٨٨٤ - ١٩٦٢ م ]  
 أو « ألتوسير » [ ١٩٢١ - ١٩٩٠ م ] أو « فوكو » [ ١٩٢٦ -  
 ١٩٨٤ م ]، بالإضافة إلى عدد من المقولات الماركسية، التي  
 أصبح الفكر المعاصر لا يتنفس بدونها<sup>(١)</sup>.

تلك هي المفاهيم والمناهج التي اعتمدها الجابري  
 واستخدمها لتحويل تراث الإسلام إلى « أنقاض »، وذلك  
 لتجاوز هذه « الأنقاض »!

صحيح - كما قال - أن هناك تبايناً بين هذه المفاهيم  
 والمناهج، لكن الجامع بينها جميعاً هي أنها غريبة.. وأنها  
 قد أقامت قطعة معرفية كبرى بين الحداثة الأوروبية وبين  
 التراث الديني على وجه الخصوص..!

ويمضي الجابري في هذا الطريق، فيعلن عن: « ضرورة  
 الأخذ بالحداثة الأوروبية في مختلف الميادين »<sup>(٢)</sup>..!

ولأن الجابري قد تحدث كثيراً - في مشروعه الفكري -  
 عن « بنية التراث ».. وعن « تحليل هذه البنية » وعن « تفكيكها »..  
 فلقد تكرم على قرائه فصارحهم وجئلي لهم مقاصده من  
 وراء هذه المصطلحات، فإذا هذه المقاصد هي: « تحليل بنية  
 التراث للقضاء عليه، ونسخ ثوابت الهوية، بما فيها الدين !! »

(١) الجابري: الخطابات العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية (ص ١٢)،  
 طبعة الدار البيضاء، سنة (١٩٨٢ م).

(٢) الجابري: المشروع النهضوي العربي، طبعة بيروت، سنة (٢٠٠٠ م).

وحتى لا يتوهم القارئ أننا نبالغ في تصوير مقاصد الرجل، أو « نؤول » كلامه فإننا نقدم عباراته هو، التي يقول فيها:

« كيف نتحرر من سلطة التراث علينا؟ »

تلك هي مهمة المنهج الذي نقتصره. إنه منهج تحليلي.. بمعنى تحليل البنية.. إن تحليل البنية معناه القضاء عليها، بتحويل ثوابتها إلى تحولات ليس غير، وبالتالي التحرر من سلطتها، وفتح المجال لممارسة سلطتنا عليها. هذا النوع من التحليل هو ما أسميه « بالتفكيك ».. تفكيك العلاقات الثابتة في بنية ما يهدف تحويلها إلى لا بنية، إلى مجرد تحولات، وهذا يندرج تحت - كما هو واضح - تحويل الثابت إلى متغير، والمطلق إلى نسبي، واللاتاريخي إلى تاريخي، واللازمي إلى زمني..<sup>(١)</sup>

هكذا نجد أنفسنا أمام « المنهج التفكيكي: الصارم، والصارم !!، الذي يستخدم « التفكيك العنفي والعلمي » لما بعد الحداثة.. تفكيك كل شيء في ميراثنا الإسلامي، بما في ذلك « المطلق » - أي الدين - واللاتاريخي - أي الثوابت - واللازمي - أي الخالد -.. تفكيك كل ذلك، بتحويل المطلق إلى نسبي.. واللاتاريخي إلى تاريخي..

(١) الجابري: التراث والحداثة (ص ٤٧، ٤٨)؛ طبعة: الدار البيضاء، سنة



واللازمي إلى زمني.. كل ذلك للتحرر من هذا التراث،  
وتحويله إلى أنقاض.. وتجاوزه كله.. لا إلى المجهول،  
وإنما إلى البضاعة الجاهزة المعلبة التي تراحم بضاعتنا،  
وتحاول أن تغلبنا على هويتنا منذ قرنين من الزمان!..

والجابري - وتلك من فضائله - لا يدع مجالاً للبس  
في تحديد مقاصده من وراء مشروعه لنقد التراث وتفكيك  
بنية.. فهو، في النص الذي سقناه للتو، قد أعلن أن التفكيك  
والتجاوز لا يستثنى الدين - « المطلق » - و « اللاتاريخي » -  
اللازمي « - الذي سبق وأخرجه الجابري من إطار التراث -  
ولذلك رأيناه يلح على هذه الفكرة الشاذة، التي سبق وقدمها  
التنويريون الغربيون إزاء تراث الغرب المسيحي - اليهودية  
والنصرانية - عندما استبدلوا - بالتأويل - « دين الحداثة  
الطبيعي » بالدين الإلهي!.

لا يدع الجابري مجالاً للبس في أنه يسير - بإزاء  
الإسلام - في هذا الطريق ويسعى ليدخل بنا في هذا النفق  
المظلم، الذي تعاني منه أوروبا في هذه الأيام، بعد أن قتلت  
الحداثة المسيحية أو همَّشتها، ثم عجزت الحداثة عن أن  
تجيب على الأسئلة الأبدية للإنسان، وعن أن تمنحه طمأنينة  
الإيمان الديني، فعدت أوروبا « فراغاً دينياً »، تنمده فيه -  
لتملأه - مختلف العقائد، بما في ذلك الإسلام..

وبعبارة القس الألماني - عالم الاجتماع - د. جوتفرايد  
كونزلن : «

لقد مثلت العلمنة: تراجع السلطة المسيحية.. وضباع  
أهميتها الديني.. وتحول معتقدات المسيحية إلى مفاهيم دنيوية،  
والفصل النهائي بين المعتقدات الدينية والحقوق المدنية..  
وسيادة مبدأ: دين بلا سياسة، وسياسة بلا دين..

لقد نبعت العلمانية من التنوير الغربي.. وجاءت ثمرة لصراع  
العقل مع الدين وانتصاره عليه، باعتباره مجرد أثر لحقبة من حقب  
التاريخ البشري، يتلاشى باطراد في مسار التطور الإنساني..

ومن نتائج العلمانية: فقدان المسيحية لأهميتها فقداناً كاملاً..  
وزوال أهمية الدين كسلطة عامة لإضفاء الشرعية على القانون  
والنظام والسياسة والتربية والتعليم.. بل وزوال أهميته أيضاً كقوة  
موجهة فيما يتعلق بأسلوب الحياة الخاص للسواد الأعظم من  
الناس، وللحياة بشكل عام.. فسلطة الدولة، وليست الحقيقة، هي  
التي تصنع القانون.. وهي التي تمنح الحرية الدينية..

ولقد قدمت العلمانية الحداثة باعتبارها ديناً حل محل الدين  
المسيحي، يفهم الوجود بقوى دنيوية، هي العقل والعلم..

لكن.. وبعد تلاشي المسيحية.. سرعان ما عجزت العلمانية  
عن الإجابة على أسئلة الإنسان، التي كان الدين يقدم لها  
الإجابات.. فالتقاعات العقلية أصبحت مقتنرة إلى اليقين..

وَعُدَّتِ الحداثة العلمانية غير واثقة من نفسها، بل وتَفَكَّكَتْ  
 أنساقها إلى - العقلية والعلمية - عديمة ما بعد الحداثة.. فدخلت  
 الثقافة العلمانية في أزمة، بعد أن أدخلت الدين المسيحي في  
 أزمة.. فالإنهك الذي أصاب المسيحية أعقبه إعباء أصاب كل  
 العصر العلماني الحديث.. وتحققت نبوءة نيتشه [ ١٨٤٤ -  
 ١٩٠٠ م ] عن « إفراز التطور الثقافي الغربي لأناس يفقدون  
 ( نجمهم ) الذي فوقهم، ويحيون حياة تافهة ذات بُعد واحد،  
 لا يعرف الواحد منهم شيئاً خارج نطاقه .. » وبعبارة ماكس فيبر  
 [ ١٨٦٤ - ١٩٢٠ م ] : « لقد أصبح هناك أخصائيون لا روح لهم،  
 وعلماء لا قلوب لهم ! ».

ولأن الاهتمام الإنساني بالدين لم يتلاش، بل تزايد.. وفي ظل  
 انحسار المسيحية، انفتح باب أوروبا للضروب من الروحانيات وخليط  
 من العقائد الدينية لا علاقة لها بالمسيحية ولا بالكنيسة؛ من التنجيم..  
 إلى عبادة القوى الخفية.. والمخارقة.. والاعتقاد بالأشباح.. وطموس  
 اليهود الحمر.. وروحانيات الديانات الآسيوية.. والإسلام، الذي  
 أخذ يحقق نجاحاً متزايداً في المجتمعات الغربية..

لقد أزال العلمانية السيادة الثقافية للمسيحية عن أوروبا.. ثم  
 عجزت عن تحقيق سيادة دينها العلماني على الإنسان الأوروبي،  
 عندما أصبح معها العلماني عتيقاً.. ففقد الناس « النجم » الذي  
 كانوا به يهتدون: وعد الخلاص المسيحي.. ثم وعد الخلاص

العلماني<sup>(١)</sup>!

هذا هو الطريق - أو النفق المظلم - الذي أدخل التنوير الغربي أوروبا والمسيحية فيه.. والذي مثل كارثة قاتلة للمسيحية.. ثم للعلمانية أيضًا..

ولا يدع الدكتور الجابري مجالاً للبس في أنه يسير في هذا الطريق.. وإلى هذا النفق المظلم.. فيقول: " ينبغي تحويل العقيدة إلى رأي.."<sup>(٢)</sup>، ثم يزيد الطين بلة عندما يعلن أن دعوته تلك إلى التفكيك والتجاوز لكل التراث والتحرر منه، لا تقف عند العقيدة - وهي أم الثوابت وأس القواعد في دنيانا وآخرتنا - وإنما يضيف إليها كل الثوابت التي تجعل من أمة متميزة حضارياً، وذات مناعة تجعلها مستعصية على اجتياح التغريب الذي يسعى إلى تسيخ ومسح وتشويه ثوابت الهوية، التي تأسست على قواعد الإسلام..

نعم!.. يذهب الجابري على هذا الطريق البائس.. وإلى هذا النفق المظلم، فيقول: " .. اللغة والتشريعة والعقيدة والسياسة، في الماضي والحاضر، هي العناصر الرئيسية التي تتكون منها المرجعية التراثية، التي قلنا: إنه لا سبيل إلى تجديد

(١) جوتفريد كورتلن: مآزق المسيحية والعلمانية في أوروبا (ص ١٧، ١٨)، تقديم وتعليق: د. محمد عمارة، طبعة نهضة مصر، القاهرة، سنة (١٩٩٠م)  
(٢) الجابري: تكوين العقل العربي، (ص ٥)، طبعة بيروت، سنة (١٩٨٥م)

العقل العربي إلا بالتححرر منها»<sup>(١)</sup>

هكذا أعلن الجابري «ثورته» للتححرر من «العناصر الرئيسية التي تتكون منها المرجعية التراثية.. بما فيها العقيدة والشريعة واللغة والسياسة»!

ولم يقل لنا الجابري - عفا الله عنه - من الذي سيصنع لنا البديل عن هذه العناصر الرئيسية التي تتكون منها مرجعيتنا التراثية.. وإن كان قد سبق وأعلن عن منهجية صناعة هذا «البديل».. منهجية: «كانت» و «فرويد» و «باشلار» و «ألتوسير» و «فوكو» و «كارل ماركس» [١٨١٨ - ١٨٨٣ م].. فلم يدع الرجل مجالاً للشك في نوعية المقاصد التي تغياها من وراء نقده وتفكيكه لتراث الإسلام..

نقد أقامت الحداثة الغربية التي دعا الجابري إلى «ضرورة الأخذ بها في مختلف الميادين»، أقامت قطعة معرفية كبرى مع مورثها الديني - اليهودي.. النصراني -.. لكنها أحييت وجددت موارثها الإغريقية الرومانية - في الفلسفة.. والقانون.. والعلوم.. والآداب والفنون - وأسست نهضتها الحديثة على «كلاسيكيات» هذه الموارث.. أي أنها لم تُنمِّ قطيعة مع كل مكونات مرجعيتها التراثية.. أما الجابري، فإنه - وبمنصوص عباراته - قد دعا إلى «تدشين سلسلة من

(١) الجابري: تكوين العقل العربي (ص ٣٣٢).

القطائع مع العناصر الرئيسية التي تتكون منها المرجعية التراثية..  
بما في ذلك: اللغة.. والشريعة.. والعقيدة.. والسياسة..!

وهكذا... فبرغم «عروية الرجل» و «قوميته العربية»  
فلقد وضع اللغة ضمن العناصر المطاوب «التحريم منها»!  
ورغم إسلام الرجل، فلقد وضع «العقيدة والشريعة» في  
هذا الإطار أيضًا!..

ويبدو - والله أعلم - أنه قد حسب كل ذلك من صناعة  
«الأعراب» عندما قال:

«إن الأعرابي هو صانع العقل العربي»<sup>(١)</sup>... فدعا - سامحه  
الله - إلى إلقاء كل ذلك في سلة مهملات التاريخ!  
وهي دعوة لا أظن أنه قد سبقه إليها أحد من الحداثيين  
والعلمانيين.. اللهم إلا سلامة موسى [١٨٨٨ - ١٩٥٨ م]  
على وجه التحديد<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) الجابري: تكوين العقل العربي (ص ٧٥).

(٢) انظر كتاب سلامة موسى: اليوم والغد، طبعة القاهرة، سنة (١٩٢٨ م)،  
وانظر كتابنا: الإسلام بين التنوير والتزوير، طبعة دار الشروق، القاهرة، سنة  
(١٩٩٥ م).

## الترتيب الجاهري

هو ذات الجاهري

## للقرآن الكريم

لقد اختار الجاهري لكتابه - الذي عرّف فيه بالقرآن الكريم - ذات العنوان الذي سبق واتخذهُ المستشرق الفرنسي « بلاشير » ( ١٩٠٠ - ١٩٧٣ م ) لكتابه عن القرآن - عنوان ( مدخل إلى القرآن ) - .. وأعلن الجاهري - في مشروعه عن القرآن، تعريفًا وتفسيرًا - أنه قد اختار إعادة ترتيب سور القرآن الكريم وفق أسباب النزول ومسار الدعوة المحمدية، ليكون هذا الترتيب الجديد والتفسير الجديد أقدر على غواكبة فسيحة الدعوة المحمدية والتأريخ لها..

ومن حق الباحث في القرآن الكريم أن يسأل:

لماذا العدول عن الترتيب الإلهي للقرآن - ترتيبه في اللوح المحفوظ .. والذي نزل به جبريل على رسول الله ﷺ أثناء المراجعات التي تمت بين جبريل والرسول في السنوات الأخيرة من حياة المصطفى ﷺ وهي المراجعات التي وردت أحاديثها في الصحاح .. والتي أوردتها الجاهري في كتابه عدة مرات ٢٩..

- لماذا العدول عن هذا الترتيب الإلهي للموحي القرآني، الذي أكدته مراجعات جبريل - الذي نزل بالوحي - مع



الرسول - الذي تلقى الوحي - .. والذي جُمع القرآن وفقًا له في حياة النبي - عليه الصلاة والسلام - .. وهو الترتيب الذي سار عليه الصحابة الذين كتبوا الوحي .. وحفظوه .. وجمعوا صحائفه .. ثم دونوه وأذاعوه في الأمصار .. وهو - أيضًا - نفس الترتيب الذي سارت عليه الأمة بشعوبها وقبائلها وأقطارها وعلمائها ومذاهبها عبر الزمان والمكان؟؟ ..

يقول الجابري:

« إن الهدف عندنا من « الترتيب حسب النزول » هو التعرف على المسار التكويني للنص القرآني باعتماد مطابقتها مع مسار الدعوة المحمدية »<sup>(١)</sup>.

وفناء من حق الباحث أن يسأل:

- هل القرآن كتاب تأريخ لمسار الدعوة المحمدية؟! ..

أم أنه كتاب هداية للمدين والدنيا والآخرة .. للفرد والأمم والشعوب، عبر الزمان والمكان؟! ..

وأن مسار الدعوة المحمدية هو مجرد « مفردة » من مفردات هذا القرآن الكريم؟ ..

وأن الترتيب الجابري للقرآن كي يكون تأريخًا لمسار الدعوة المحمدية، قد يفضي إلى ربطه بهذا التأريخ، ومن ثم يفتح باب « التاريخية والتاريخانية » التي تعيل القرآن الكريم إلى « الاستبداع »

(١) الجابري: مدخل إلى القرآن (ص ٢٤٥).

بعد طوى التاريخ صفحات الأحداث التي مثلت مسار الدعوة الإسلامية، والتي حدثت قبل نحو خمسة عشر قرناً ١٩ -

إن المستشرق الإنجليزي « مونتجمري وات » ( ١٩٠٩ - ٢٠٠٦ م ) - وهو قسيس أنجليكاني .. ابن قسيس - قد كتب - بعد أكثر من ثلث قرن في دراسة العربية والقرآن والإسلام - يقول: إن هذا الترتيب القائم الآن في المصحف العثماني هو الترتيب الإلهي الذي انتهى إليه الوحي مع رسول الإسلام .. وليس ترتيباً بشرياً من الصحابة، حتى تصح إعادة النظر فيه .. قال هذا المستشرق:

« .. وإذا لم يكن محمد هو الذي رتب القرآن بناء على وحي نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور أن يقوم بهذا العمل زيد بن ثابت أو أي مسلم آخر » (١).

ولقد حسم القرآن الكريم ذاته أمر هذا الترتيب ..  
فَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَنْزَلَهُ عَنجُمًا لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَ رَسُولِهِ ﷺ فِي  
مُوَاجَهَةِ التَّحْدِيَّاتِ الشَّرْسَةِ الَّتِي وَاجَهَتِ الدَّعْوَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ  
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [ الفرقان: ٣٢ ] .

ثم تم الجمع الإلهي لهذا القرآن ﴿ إِنَّ عَلَيْكُمْ جُمُعًا وَفَرَقَانًا ﴾ (٢)

(١) مونتجمري وات: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر (ص ١٧٩)،  
ترجمة: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، طبعة مكتبة الأسرة، القاهرة، سنة  
(٢٠٠١ م).

فَلَمَّا قُرْءَهُ فَالْمَلِكُ قَرَأَهُ ﴿٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ ﴿٦﴾ [القيامة: ١٧ - ١٩].  
ولقد راجع جبريل عليه السلام مع الرسول ﷺ هذا الجمع وهذا  
الترتيب - ليس وفق التنجيم الذي نزل عليه القرآن، وإنما  
وفق صورته المستقرة في اللوح المحفوظ ﴿٧﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ  
مَجِيدٌ ﴿٨﴾ في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٩﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

فهذا الترتيب، الذي راجعه جبريل مع الرسول ﷺ هو  
الترتيب الإلهي للقرآن الكريم.. وهو الذي سارت عليه  
الامة منذ تدوين القرآن وجمعه على عهد النبي ﷺ.. وحتى  
الدكتور محمد عابد الجابري، الذي ابتدع ترتيبه الجديد  
للقرآن، وفق «أسباب النزول ومسار الدعوة المحمدية»..  
أي أن الجابري قد ارتد بالقرآن عن ترتيبه في اللوح المحفوظ،  
والذي راجعه جبريل مع الرسول، والذي دُون وفقه وجمع  
على أساسه في السنوات الأخيرة من حياة الرسول ﷺ..  
ارتد الجابري بترتيب القرآن عن هذا الترتيب «الأصلي»  
و «النهائي» إلى حيث رتبته - كما يقول - وفق «التنجيم»  
الذي حاول البعض - ومنهم الجابري - ربطه بأسباب  
النزول!..

وحتى نكون منصفين للرجل - الذي انتقل إلى رحاب  
ربه - في اختياره لهذه «البدعة» نشير إلى أن نفرًا من  
المستشرقين اليهود الذين قضوا عقودًا من حياتهم في  
محاولات البحث عن ثغرات يطعنون منها في حفظ

القرآن الكريم عن التفسير والتبديل والتحريف.. والذين حركتهم على هذا الطريق مقاصد «إنحاق» القرآن بالكتاب «المقدس» عند اليهود والنصارى.. و«التسوية» بينهما في التحريف والتغيير والتبديل..

إن نقراً من هؤلاء المستشرقين اليهود قد مكثوا عقوداً يحاولون التشكيك في إحكام القرآن وحفظه.. وفي تأليف نسخة من القرآن مغايرة لنسخة المصحف الإمام.. ثم جاءت جهودهم هذه بالنقل والخيبة والخذلان، فعدلوا عن هذا الذي صنعه - أخيراً - الدكتور الجابري!..

ولقد سجلت ذكر هذه المحاولات وهذه الخيبة (دائرة المعارف الإسلامية) التي كتبها المستشرقون الغربيون أنفسهم.. فقالت:

«لقد هوت محاولات المستشرقين - في ثلاثينيات القرن العشرين - إصدار نسخة أخرى من القرآن غير نسخة عثمان<sup>(١)</sup>»

لكن الجابري جاء - بعد ستة عقود - ليحدث، هذه المحاولة الاستشراقية «التي هوت» رغم الجهود التي بذلها فيها المستشرقون - من أمثال «فيشير» Fischer

(١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة القرآن (١٦ / ٨١٧٩ - ٨١٨٦) الترجمة العربية، طبعة الهيئة العامة للكتاب، القاهرة (١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م).

[ ١٨٦٥ - ١٩٤٩ م ] و « بريتل » Prizl [ ١٨٩٣ - ١٩٤١ م ]  
و « بيرتون » Barton و « ونسبرو » Wansbroagh - .. جاء  
الجابري ليكرر هذه « المحاولة » التي « هوت » ، والتي  
بذل فيها هؤلاء المستشرقون عقوداً من حياتهم البحثية ،  
محاولين وضع ترتيب آخر للقرآن الكريم غير هذا الذي  
جاء في المصحف الإمام - مصحف عثمان - وهو الترتيب  
الذي راجعه جبريل عليه السلام مع الرسول ﷺ والذي هو ترتيب  
القرآن في اللوح المحفوظ ..

وقد يقول قائل:

- وماذا على الجابري أن لا « يجتهد » .. وأن ينجح  
فيما أخفق فيه المستشرقون؟ .. فقد تكون للرجل « حجج  
ومبررات » لم يصل إليها هؤلاء المستشرقون .. ثم إن الرجل  
لا يدعو إلى إلغاء الترتيب القائم في المصحف الإمام -  
الذي اجتمعت عليه الأمة - وإنما دعواه: أن تفسير القرآن -  
أو « تفهيمه » ، وفق مصطلحه - إنما يكون أوفق وأوضح إذا  
تم وفق - ترتيبه حسب أسباب النزول - .. ولذلك سمي  
الرجل تفسيره: ( فهم القرآن ) التفسير الواضح حسب ترتيب  
النزول ) ..

ومع « الوجهة الشكلية » لهذا التساؤل، فإننا نقول -  
وهذا مهم جداً :-

- إن الجابري نفسه - الذي ابتدع هذه البدعة، فأعاد ترتيب

القرآن وتفسيره وفق أسباب النزول - قد اعترف - هو - أن هذا « الأساس » - الترتيب وفق النزول - الذي بنى عليه مشروعه، والذي دفعه إلى « بدعته »، هو أوهى من بيت العنكبوت..!

○ فبعد أن خدع الجابري نفسه - وحاول خداع قرائه - بقوله:

« لقد كان طبيعيًا لكل من يريد فهم القرآن أو استنباط أحكام منه تغلطي المستجدات، أن يشعر بالحاجة إلى معرفة ما اصطلاح عليه « أسباب النزول » الأمر الذي يقتضي ترتيب السور حسب نزولها »<sup>(١)</sup>.

○ وبعد أن جازف الجابري فأعلن أن لكل آية في القرآن سببًا لنزولها.. ومن ثم فمن المشروع إعادة ترتيب القرآن كله وفق أسباب النزول.. وقال:

« .. ولا نجافي الصواب إذا قلنا - مع بعض القدماء - [ ولم يقل لنا من هم هؤلاء القدماء! ]: إنه ما من آية في القرآن إلا ومن ورائها سبب لنزولها.. »<sup>(٢)</sup>.

○ بعد أن جازف الجابري هذه المجازفات، عاد - هو - فأفاض في الحديث عن أن هذا « الأساس » الذي بنى عليه « مشروعه - البدعة » هو - كما قلنا - أوهى من بيت

(١) الجابري: في التعريف بالقرآن (ص ٤٢٠).

(٢) المرجع السابق (ص ٤٣٠).

المنكسبات !..

○ فبعد أن قطع - مع القدماء الذين لم يذكر لنا اسم واحد عنهم - أن لكل آية من آيات القرآن الكريم سبباً لنزولها .. عاد ليقول :

« .. وقول بعضهم : إنه ما من آية في القرآن إلا ولها سبب لنزولها » إن عتصر المبالغة في هذه العبارة واضح ! ذلك لأن ما هو متداول من « أسباب النزول » قليل جداً بالنسبة لأي الذكر الحكيم <sup>(١)</sup>.

لقد نفى الرجل غزله <sup>(٢)</sup> .. وأقر بأن الآيات التي لها سبب نزول هي « قليلة جداً » بالنسبة لمجموع آيات القرآن .. الأمر الذي يدعو للتساؤل :

كيف يتم تفسير كل القرآن وفق أسباب النزول ، بينما الآيات التي لها أسباب نزول « قليلة جداً » بالنسبة لمجمل آيات القرآن الكريم ؟ !.

(١) الجابري : فهم القرآن ، القسم الثالث ( ص ٣٧٠ ) ، طبعة بيروت ، سنة ( ٢٠٠٨ م ) .

(٢) يلاحظ القارئ : لكتاب الجابري الكم الهائل من التناقضات ، التي تقطع بأن الرجل كان حاضراً ليل في جمع مادة هذا الكتاب من على الشبكة الدولية للمعلومات .. ولقد ألجأته السرعة في إخراج كتابه هذا إلى عدم التمهيد والتدقيق في المادة التي جمعها .. وبيرى القارئ - في دراستنا هذه - نماذج عديدة وغريبة من هذه التناقضات !.



أي: كيف أقام الجابري « مشروعه - البدعة » على إعادة ترتيب كل القرآن وفق أسباب النزول، والتي لا وجود لها بالنسبة للأغلبية الساحقة من آيات القرآن الكريم!..

○ إن مضادر علوم القرآن - التي اشتهرت في تراثنا الإسلامي، والتي رجع إليها الجابري - تقول بتذرة الآيات القرآنية التي لها سبب نزول..

وإذا كان السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ / ١٤٤٥-١٥٠٥م) والواحدي (٤٦٨هـ / ١٧٠٦م) قد اعتمدا كأشهر من صنف في أسباب النزول.. فإن الآيات التي لها سبب نزول عند الواحدي - الذي كان يذقق في الروايات إلى حد ما - هي (٤٧٢ آية) من مجموع آيات القرآن البالغة (٦٢٣٦ آية) أي نسبة (٧,٥ %) من آيات القرآن الكريم!<sup>(١)</sup>

وعند السيوطي - الذي كان يتساهل في قبول الروايات - يصل عدد الآيات التي لها سبب نزول إلى (٨٨٨ آية) - أي نحو (١٤ %) من آيات القرآن الكريم!<sup>(٢)</sup>

فهل يصح لمفكر في قامة الجابري أن يقيم مشروعه الضخم على هذا « السبب النادر » لنزول « النادر » من آيات

(١) الواحدي: أسباب النزول، طبعة النحلي، القاهرة، سنة (١٩٦٨م)

(٢) السيوطي: أسباب النزول، طبعة دار التحرير، القاهرة، سنة (١٣٨٢هـ)، وانظر كتابنا: سقوط الغلو العلماني (ص ٢٥٤ - ٢٦٢)، طبعة دار الشروق، القاهرة، سنة (٢٠٠٢م).

القرآن الكريم؟!..

○ وحتى هذه الآيات النادرة، التي رويت في نزولها « أسباب » - يسميها العلماء « مناسبات » لا « أسبابًا » - فإن الروايات التي تحدثت عن هذه الأسباب هي الأخرى - أو أغلبها - لا تزيد في الثقة والقوة عن خيوط العنكبوت!.. والغريب والعجيب أن الجابري - الذي أعاد ترتيب كل القرآن وفق أسباب النزول - يعود فينتقض هو أساس « مشروعه » - البدعة « عندما يهيل التراب على ما جاء من روايات حول أسباب النزول للنادر من آيات القرآن الكريم. يعود الرجل فيقول:

« إن كثيرًا من الروايات التي نتحدث عن أسباب النزول تشي هي نفسها بما يطعن في صدقها، وأنها إنما حيكت من أجل « تفسير » لفظ أو عبارة<sup>(١)</sup>.. وإن ما يروى كأسباب نزول هو في الغالب اجتهادات، الهدف من روايتها ربط آية أو آيات بحوادث سبقت أو تأخرت عن نزول الآية<sup>(٢)</sup>.. ولقد أكدنا مرارًا أن روايات أسباب النزول هي في الغالب نتيجة لبحث الرواة عن سبب مناسب للآية<sup>(٣)</sup>.. ولذلك، كان لا بد من التعامل بحذر مع

(١) تفهيم القرآن، القسم الأول (ص ١٦٥).

(٢) المرجع السابق (ص ٣٤١).

(٣) المرجع السابق (ص ٣٥٣).

« أسباب النزول » ..<sup>(١١)</sup>.

وعند تفسير الجابري لسورة الحجر - في سياق « ترتيبه -  
البدعة » وفق أسباب النزول - يقول عن أسباب نزول آيات  
هذه السورة:

« لقد وردت عدة أخبار عن « سبب نزول » آيات من هذه  
السورة تكاد تكون كلها مصطنعة »<sup>(١٢)</sup>.

ومع ذلك مضى الرجل ففسر هذه السورة - كغيرها من كل  
سور القرآن الكريم - وفق هذه « الروايات المصطنعة » ! ..  
وكذلك كان الحال مع تفسيره لسورة فصلت .. التي قال  
عن روايات أسباب نزولها:

« .. وما ورد في بعضها من « أسباب نزول » لا يعدو أن يكون  
عبارة عن التماس وقائع وأحداث « تصلح » أن تعتبر « أسباب  
نزول » ، أي أدوات للشرح والإيضاح ، والغالب ما يخلطون فيها  
بين المكي والمدني من النوازل .. »<sup>(١٣)</sup>.

ثم يمضي الجابري - في العديد من صفحات مشروعه -  
الذي بناه على ترتيب كل القرآن وفق أسباب النزول -  
فيقول:

(١) تفهيم القرآن، القسم الأول (ص ٣٥٤).

(٢) تفهيم القرآن، القسم الثاني (ص ٣١)، طبعة بيروت، سنة (٢٠٠٨ م).

(٣) المرجع السابق (ص ١١٠).

« إن معظم الآيات التي يقال عنها إنها نزلت بسبب » كذا « .  
 لا شيء يثبت أنها نزلت فعلاً بسبب ذلك . فلم يكن هناك تسجيل  
 بهذا المعنى ، بل كل ما هناك هو أن المهتمين بتفسير القرآن في  
 مراحل لاحقة ، كانوا يسألون الصحابة أو التابعين عن النوازل التي  
 يمكن أن تكون لها علاقة بهذه الآية أو تلك ، وهكذا . فقولهم :  
 إن الآية الفلانية « نزلت بسبب كذا » لا يعني بالضرورة أن الأمر  
 كذلك بالفعل ، كل ما هناك أن الآية قد نجد ما يعين على فهمها  
 في هذه الحادثة أو تلك <sup>(١)</sup> . . إن أسباب النزول ، كما هي مدونة في  
 التفاسير أو في الكتب الخاصة بها أو في كتب « علوم القرآن »  
 تحمل الباحث الناقد على الشك في مصداقية كثير منها <sup>(٢)</sup> . وإن  
 من مكامن الطعن في روايات « أسباب النزول » : ضعف ، وسهولة  
 الوضع ، والزيادة والنقصان ، والاهتمام بالغريب العجيب ، وانتزاع  
 آيات أو أجزاء منها من السياق الذي يعطيها معنى ، والإطار العام  
 الذي تندرج تحته . » <sup>(٣)</sup> .

ثم يصل الجابري إلى القطع بأن :

« أسباب النزول هي في نهاية الأمر روايات آحاد ، وأكثرها  
 ظنون وتخمينات » <sup>(٤)</sup> .

(١) تفهيم القرآن ، القسم الثاني ( ص ٢٨٣ ) .

(٢) المراجع السابق ، القسم الثالث ( ص ٢٧١ ) .

(٣) المراجع السابق ( ص ٣٧٩ ) .

(٤) المراجع السابق ( ص ١٠٩ ) .

هكذا نقض الجاهلي غزله.. وحكم على أن الأساس الذي أقام عليه « مشروعه - البدعة » لا يعدو أن يكون ضرباً من « الظنون والتخمينات » !..

وهكذا جردنا من نصوص « الحداثي - العقلاني » ما يكون مقالاً في نقض الأساس الذي بنى عليه مشروعه الكبير: تفهيم القرآن وتفسيره الواضح حسب ترتيب النزول..

لقد نقض الرجل غزله.. وحكم هو على أن الأساس الذي بنى عليه « بدعته »: روايات آحاد، لا تعدو الظنون والتخمينات عن أسباب نزول ما ندر من آيات القرآن الكريم !.



في ملاحظتنا على ما كتبه الدكتور الجابري عن القرآن الكريم - تعريفًا وتفسيرًا - ميزنا بين ما نعدّه من:

١ - الأخطاء، التي من الوارد أن يقع فيها المفكر المسلم، ومن ثم يدور معه حولها الحوار.

٢ - والخطايا الفكرية، التي يُستغرب أن يسقط فيها المفكر المسلم.. بل وحتى المنصفون من غير المسلمين.

وفي هذا القسم من هذه الدراسة نتناول الحوار مع الأفكار الخاطئة التي نحسب أن الجابري - عليه رحمة الله - قد وقع فيها:

## ( ١ )

وأول هذه الأخطاء: هو تطبيقه منهاج الوضعية المنطقية الأوربية في النظر إلى الوحي والدين والإيمان؛ ذلك المنهاج الذي تصور أصحابه أن للفكر غرفة مغلقة.. فجعلوا للوحي والدين والإيمان غرفة مغلقة لا يدخلها العقل والعلم، إذ لا علاقة - بزعمهم - بينهما.. فللإيمان معايير هي التسليم والاستسلام، وللعقل معايير هي النظر والبرهان.. أي أن الوحي والدين والإيمان - وفق هذا المنهاج - لا علاقة لهما بالعقل والبرهان.

وانطلاقاً من هذا المنهاج الوضعي، قال الجابري:

« إن الوحي ينتمي إلى منطق التسليم والإيمان، وليس إلى ميدان البحث والبرهان »<sup>(١)</sup>.

ولو أن الجابري قد انطلق من « تميز » الإسلام، و « تميز » الإيمان الإسلامي لما استخدم هذا المنهاج الوضعي المادي في الحكم على الوحي - القرآن - .. ذلك أن هذا الموقف الغربي الذي تبناه الجابري، هو ثمرة لذلك التناقض الذي عرفه الفكر التنويري الحداثي الغربي.. التناقض بين العقل وبين « النقل.. الوحي »، وهو تناقض غريب عن التمييز الإسلامي والخصوصية الإسلامية في هذا الميدان..

(١) في التعريف بالقرآن: هامش ( ٤ )، (ص ٢٢).



فمقابل العقل ونقيضه في الإسلام هو الجنون، وليس النقل والوحي!

والنقل الإسلامي - الوحي - هو معجزة عقلية، جاءت لتحكم إلى العقل، لا لتدهش العقل - كما كان الحال مع المعجزات المادية، في الرسائل السابقة على رسالة الإسلام -.. فالقرآن يستنفر العقل ويحكم إليه، بينما المعجزات المادية تدهش العقل فتشله عن التفكير وعن استخدام البرهان.

ولهذه الحقيقة.. حقيقة عقلانية « الوحي الإسلامي » كان نداء « البرهان القرآني » للآخرين: ﴿ تِلْكَ أَمَانَتُهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١]، ﴿ هَذَا عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَوْلَا ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿ أَوْ أَنْتَرُوهُ ﴾ [الأحقاف: ٤]...

وإذا كان جوهر الدين الإسلامي، ونقطة البدء فيه هي الإيمان بالله ﷻ فإن طريق هذا الإيمان - في الإسلام - هو العقل، والنظر العقلي وليس التسليم.. والمحكمة الشعبية الثابتة: « ربنا عرفوه بالعقل » هي التعبير الأدق عن موقف الفلسفة الإسلامية في طريق معرفة الله، والإيمان بوجوده وبصفات الجلال والكمال والجمال التي يتصف بها سبحانه.. ذلك أن العقل يتأمل المصنوع فيدرك - بالبرهان العقلي - أن هناك صانعاً لهذا المصنوع.. وينظر ويتفكر ويتدبر في هذا

الإبداع المبعوث في الكون، فيدرك - بالبرهان العقلي - أن هناك مبدعاً لهذا الإبداع.. ومن هنا قال فلاسفة الإسلام - انطلاقاً من الوحي القرآني - : إن أول واجب على الإنسان هو النظر، الذي تكرر الحديث عن فريضته في القرآن الكريم: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ يَوْمَ يُخْلَقُ ۚ [الطارق: ٥] ، ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ [الأعراف: ١٨٥] ، ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ [فاطر: ٤٤] .. إلخ.. إلخ..

ولهذه الحقيقة - التي تجاهلها الجابري - والتي يتجاهلها كل الذين ينظرون للموحي القرآني والإيمان الإسلامي بمنظار الفلسفة الوضعية الغربية، جاء الحديث عن العقل ومكانته وسلطانه وحاكميته في الوحي القرآني - باللفظ - في تسعة وأربعين موضعاً.. وجاء الحديث عن المصطلحات المرادفة، والمكونة لمفهوم مصطلحات العقلانية - الإسلامية - مثل « القلب » و « اللب » و « النهي » و « الفكر » ومشتقاته - و « التدبر » و « الاعتبار » و « الحكمة ».. إلخ.. في نحو (٢٦٧) موضعاً<sup>(١)</sup>.

وعبر التعبير القرآني عن مصطلحات العقلانية الإسلامية تعبيراً لفظياً مباشراً، نجد سور القرآن الكريم وآياته مليئة بالاستدلالات العقلية: ﴿ قَالَ مَنْ يُخِى الْعَظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۚ قُلْ

(١) انظر كتابنا: مقام العقل في الإسلام (ص ١٠ - ١٧)، طبعة نقشة مصر، القاهرة، سنة (٢٠٠٧ م).

يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾  
 ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْ تَحْتِهِمْ؟﴾  
 [يس: ٨١]..

ولهذه الحقيقة - حقيقة عقلانية الإيمان الإسلامي - قال  
 الإمام الحسن البصري [٢١ - ١٠٠ هـ / ٦٤٢ - ٧٢٨ م]:  
 «ما تم دين الرجل حتى يتم عقله، وما أودع الله شيئاً من أفعاله  
 إلا استنقذه به يوماً ما»<sup>(١)</sup>.

وقال الحارث المحاسبى (١٦٥ - ٢٤٣ هـ / ٧٨١ - ٨٥٧ م):

«بالعقل عرف الخلق الله، وشهدوا عليه بالعقل الذي عرفوه  
 به من أنفسهم»<sup>(٢)</sup>.

وقال الماوردي (٣٦٤ - ٤٥٠ هـ / ٩٧٤ - ١٠٥٨ م):

«إن حجج العقل أصل لمعرفة الأصول - (أصول الدين) -  
 إذ ليس تُعرف الأصول إلا بحجج العقول»<sup>(٣)</sup>.

وقال الراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م):

«لله تعالى في خلقه رسولان: أحدهما من الباطن، وهو

(١) مقام العقل في الإسلام (ص ٢٨).

(٢) الحارث المحاسبى: مائة العقل وحقيقة معناه (ص ٢٠٨)، تحقيق:

د. حسين التوتلي، طبعة بيروت، سنة (١٩٧٨ م).

(٣) الماوردي: أدب القاضي (١/ ٢٧٤)، طبعة بغداد، سنة (١٩٧١ م).

العقل. والثاني: من الظاهر وهو الرسول..<sup>(١)</sup>

وقال ابن رشد [ ٥٢٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٢٦ - ١١٩٨ م ]:

« إن الحكمة هي صاحبة الشريعة، والأخت الرضيعة، وهما المصطحبتان بالطبع، المتحابتان بالجواهر والغريزة. »<sup>(٢)</sup>

وقال الإمام محمد عبده [ ١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م ]:

« .. فإلله يخاطب في كتابه الفكر والعقل والعلم بدون قيد ولا حد. فالقرآن قد دعا الناس إلى النظر فيه بعقولهم، فهو معجزة غرست على العقل، وعرفته القاضي فيها، وأطاعت له حق النظر في أبحاثها، ونشر ما انطوى في أبحاثها.

فالإسلام لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي، والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري، فلا يدهشك يخارق للعادة، ولا يغشي بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية.

والمرء لا يكون مؤمناً إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه واقتنع

(١) الراغب الأصفهاني: كتاب الدريعة (إلى مكارم الشريعة) (ص ٢٠٧).

تحقيق: د. أبو اليزيد العجمي، طبعة القاهرة، سنة (١٩٨٧ م).

(٢) ابن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال

(ص ٢٢)، دراسة وتحقيق: د. محمد عمار، طبعة دار المعارف، القاهرة،

سنة (١٩٨٣ م)

بد... (١)

وحتى السلفية - التي يجهل حقيقتها كثير من أسرى  
الحدثا الغربية.. ويحكمون على أعلامها بمجافاة العقلانية -  
بتعميم وإطلاق - يقول فيلسوفها ومجددها شيخ الإسلام ابن  
تيمية [ ٦٦١ - ٧٢٨هـ / ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م ]:

« إن ما عرف بصريح العقل لا يتصور أن يُعارضه منقول صحيح  
قط.. وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه فوجدت ما  
خالف النصوص الصحيحة شبهات فاسدة يُعلم بالعقل بطلانها،  
بل يُعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع. وهذا تأمته في  
مسائل الأصول الكبار، كمسائل التوحيد والصفات ومسائل  
القدر والنبوات والمعاد وغير ذلك.

ووجدت ما يُعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط. بل  
السمع الذي يُقال إنه يخالفه إما حديث موضوع أو دلالة ضعيفة  
فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضة العقل الصريح،  
فكيف إذا خالفه صريح المعقول؟

ونحن نعلم أن الرسل لا يخبرون بمجالات العقول،  
بل يخبرون بمجازات العقول، فلا يخبرون بما يعلم العقل  
انقضاء، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته... (٢)

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ( ٣ / ٢٨٠ - ٢٨٣ )، دراسة وتحقيق  
د. محمد عسار، طعة بيروت، سنة ( ١٩٧٢ م ).

(٢) ابن تيمية: بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول. ( ١ / ٨٣ ):

والقول كلما كان أفسد في الشرع كان أفسد في العقل، فالحق لا يتناقض، والرسول إنما أخبرت بحق، والله فطر عباده على معرفة الحق، والرسول بُعثت بتكميل الفطرة لا بتغيير الفطرة.

قال الله تعالى: ﴿ سَرَّيْنَهُمْ إِنِّي فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [ فصلت : ٥٣ ]، فأخبر أنه سيرهم الآيات الأفقية والنسبة المبينة؛ لأن القرآن الذي أخبر به عباده حق، فتتطابق الدلالة البرهانية القرآنية والبرهانية العيانية، ويتصادق موجب الشرع المنقول والنظر المعقول...<sup>(١)</sup>

وحجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ - ١١١١ م) - الذي يتهمة المتغربون بمعاداة الفلسفة والعقلانية - هو القائل:

« إن مثال العقل: البصر السليم عن الآفات والآذء. ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء. فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء المستغني بأحدهما عن الآخرين في غمار الأغبياء. فالمعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن مثاله: المستعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان. فالعقل مع الشرع نور على نور<sup>(٢)</sup>... إن العقل أولى باسم النور من العين بل

طبعة القاهرة، سنة (١٣٢١ هـ).

(١) ابن نجية: منهاج السنة النبوية ( ١ / ٨٢ )، طبعة القاهرة، سنة (١٣٢١ هـ).

(٢) الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد ( ص ٢٢٢ )، طبعة صحيح، القاهرة.

بينهما من التفاوت ما يصح أن يقال معه إنه أولى، بل الحق أنه يستحق الاسم دونها<sup>(١)</sup>... وما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به، ولا يُتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول<sup>(٢)</sup>.. والوحي الإلهي والشرع الحق لا يرد بما ينبو عنه العقل<sup>(٣)</sup>.

بل إن الإيمان الإسلامي لا يتأسس فقط على « النظر ».. بل وعلى « الشك المنهجي » أيضًا.. وبعبارة حجة الإسلام الغزالي:

« .. فإن الشكوك هي الموصلة إلى الحق. فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال<sup>(٤)</sup>.. »

هكذا اجتمعت تيارات الفكر الإسلامي على تأسيس الإيمان الإسلامي على صريح المعقول، الشاهد على صدق صحيح المُنقول.



ومن خارج إطار الإسلام، بهرت عقلانية الإيمان

(١) الغزالي: مشكاة الأنوار (ص ٣٦)، طبعة القاهرة، سنة (١٩٠٧م).

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ١٢٢)

(٣) الغزالي: المفسنون به على غير أهله (ص ٢٤٤)، طبعة مكتبة الجندبي، ضمن مجموعة، القاهرة.

(٤) الغزالي: ميزان العمل (ص ١٦)، طبعة المطبعة العربية، القاهرة.



الإسلامي العديد من علماء الحضارة الغربية، الذين درسوا الإسلام والنصرانية، فشهدوا العقلانية الإسلام.. بل وشهدوا أن هذه العقلانية الإسلامية كانت السر في سرعة انتشار الإسلام. ومن هؤلاء العلماء المستشرق الفرنسي البروفسور « إدوارد مونتيه » [ ١٨٥٦ - ١٩٢٧ م ] - الذي ترجم القرآن إلى الفرنسية - والذي قال عن عقلانية الإسلام:

« إن الإسلام في جوهره دين عقلي بأوسع معاني هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية، فإن تعريف الأسلوب العقلي Rationolism بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق، ينطبق على الإسلام كامل الانطباق.

إن لدين محمد كل العلامات التي تدل على أنه مجموعة من العقائد قامت على أساس المنطق والعقل..

إن الإيمان بالله والآخرة - في الإسلام - يستقران في نفس المتدين على أساس ثابت من العقل والمنطق، ويلخصان كل تعاليم العقيدة التي جاء بها القرآن، وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهي - على وجه التحقيق - من أظهر القوى الفعالة، في الدين وفي نشاط الدعوة إلى الإسلام..<sup>(١)</sup>

---

(١) أرنولد - سبير توماس -: الدعوة إلى الإسلام (ص ٨٩ - ٩١)، ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، طبعة القاهرة سنة (١٩٢٠ م).

هذا هو مقام العقل في الإيمان الإسلامي .. مقام الأصل الذي تقوم عليه كل الأصول .. ومقام القاضي والحكم .. ولأن معرفة الله ﷻ - التي هي لب الدين ونقطة البدء فيه - إنما طريقها العقل - « ربنا عرفوه بالعقل » - كانت قراءة كتاب الكون أولى الفرائض التي نزل بها الوحي الإلهي على قلب رسول الإسلام ﷺ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ - ٥] ..

فالقراءة والنظر والتدبر والتفكر في كتاب الكون والخلق، هي السبيل للإيمان بالله، والتدين بدينه، ومن ثم إسلام الوجه لله.

ولو أدرك الجابري، وكل الذين ينظرون إلى الإيمان الإسلامي والوحي القرآني بعيون الفلسفة الوضعية الغربية، التي تبلورت في مواجهة « الإيمان الخرافي الكنسي » - لو أدركوا هذه الحقيقة - التي عميت عنها أبصارهم وبصائرهم - لما أقاموا هذه المقابلة البائسة وهذا التناقض الظالم والموهوم بين الإيمان الإسلامي وبين العقل والبرهان .. بل لو قرأوا شهادات العلماء الغربيين الذين فقهوا حقيقة عقلانية الإسلام - من أمثال البروفيسور « مونتيه » ونظرائه .. وهم كثيرون - لما ظلوا أسرى للتعميم والإطلاق في محاكمة الأديان - وخاصة الإسلام - بمعايير الفلسفة

الوضعية المادية، التي تبلورت في مواجهة « الكهنوت  
 الخرافي » الذي أدخل أوروبا عصور المظلمات !.

ولكنها المفارقة الغريبة.. أن يقول العلامة الفرنسي  
 البرفسور « مونتيه » :

« إن الإسلام في جوهره دين عقلي، بأوسع معاني هذه  
 الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية.. وإن الإيمان بالله  
 والآخرة - في الإسلام - يستقران في نفس المتدين على أساس  
 ثابت من العقل والمنطق.. ».

بينما يقول الجابري - سامحه الله - :

« إن الوحي ينتمي إلى منطقة التسليم والإيمان، وليس إلى  
 ميدان البحث والبرهان » !.



## ( ٢ )

والخطأ الثاني :- الذي وقع فيه الجابري - قد جاء - هو الآخر - ثمرة من ثمرات انطلاقه من « الصورة الخرافية » للدين - في أوروبا - تلك التي ثارت عليها فلسفة الأنوار الغربية .. ومن ثم تجاهل الخصوصية الإسلامية في هذا الميدان.

فالجابري - الذي انطلق من النموذج الحضاري الغربي، ومن رؤية الفلسفة الوضعية للوحي والدين - قد عاد - عندما تحدث عن العبادات الإسلامية - إلى مقولة التناقض بين « المنقول » و « المعقول » - وهي المقولة التي قندناها في الرد على خطئه الأول - فجعل العبادات الإسلامية من « المنقول - اللامعقول » .. وليست في متناول العقل .. فقال :

« إن العبادات، في أي دين، ليست في متناول العقل، وما يميز العبادات أنها من المنقول لا من المعقول .. »<sup>(١)</sup>

ولقد خلط الجابري بين العبادات الإسلامية وبين صورة العبادات - كما آلت إليها - في الشرائع الدينية الأخرى .. ففي المسيحية - الحالية - تحولت كثير من العبادات إلى « أسرار كنسية » لا معقولة، بل مضادة للعقل والتعقل .. حتى

(١) فهم القرآن، القسم الثالث ( ص ١١٤ ) .

لقد قال الفيلسوف القديس « أنسيلم » [ ١٠٣٣ - ١١٠٩ م ] :  
 « يجب أن تعتقد أولاً بما يمرض على قلبك، وبدون نظر،  
 ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت، فليس الإيمان في حاجة  
 إلى نظر عقل... »<sup>(١)</sup>.

وسادت في اللاهوت الكنسي مقولة:

« إن التجسيد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس  
 والمادة والمصطلحات الفلسفية. ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا  
 ممكن حتى ولو لم يكن معقولاً »<sup>(٢)</sup>.

وساد في هذا اللاهوت - كذلك - حمل كلمات  
 الإنجيل:

« الحق أقول لكم: لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لکنتم  
 تقولون لهذا الجبل: انتقل من هنا إلى هناك، فينتقل، ولا يكون  
 شيء غير ممكن » [ متى، ١٧: ٢٠ ] .

« ولو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لکنتم تقولون لهذه  
 الجميزة: انتقلعي وانفري في البحر، فتطيعكم » [ لوقا، ١٧: ٦ ] .  
 لقد ساد في ذلك « اللاهوت الخرافي » حمل هذه  
 الكلمات على « الحقيقة » بدلاً من « المجاز » .

وليس هكذا العبادات الإسلامية، التي ظلمها الجابري،

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ( ٣ / ٢٧٩ ) .

(٢) د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان ( ٢ / ١٢٤ )، طبعة القاهرة.

فأدخلها في إطار اللامعقول.. وإذا كان الإسلام عقيدة  
وشرعية.. وإذا كانت عقيدته عقلانية ومنطقية، جاءت ثمرة  
للنظر في الكون.. فإن الشريعة الإسلامية منها المعاملات  
القائمة على الحكيم والعلل المعقولة.. وهي تتغيا تحقيق  
المصالح الشرعية المعتمدة - وهي معقولة -.. ومن هذه  
الشريعة العبادات وهي - على عكس ما قال النجاشي -  
معقولة كذلك..

١٠ فالصلاة - التي هي عماد العبادات الإسلامية - معقولة..  
لأنها تتغيا تحقيق المصالح المعقولة، وهي النهي عن الفحشاء  
والمنكر.. وتحقيق التزكية للنفس الإنسانية بالمعية الإلهية  
والحضور مع الله تعالى خمس مرات في اليوم، كي لا تفر  
النفس الإنسانية عن هذه المعية الإلهية، وكي لا تفسد التزكية  
للنفس المسلمة، فتقع فريسة لوحش الاعترا ب.

١١ والصيام: هو الآخر عبادة معقولة؛ لأنه - وهو العبادة  
السرية - التي لا يعرف حقيقتها إلا الله، تفتح القنوت  
الروحية بين الإنسان وخالقه.. كما أنها تمثل « مدرسة لتربية  
الإرادة الإنسانية » على الصبر.. والتكافل الاجتماعي، كما  
تربي هذه العبادات الأمة على فضيلة « الجماعة » والجماعية..  
والاجتماع «، فتعذب من النزعة الفردية التي إذا زادت كانت  
طريقاً إلى الطغيان « كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا شَكُورٌ ۝ أَنْزَلْنَاهُ فِي  
[العلق: ٦، ٧]..

○ ومثل ذلك الحج: إلى بيت الله الحرام .. ففيه إنعاش  
 ذاكرة الأمة الخاتمة بإحياء مناسك ملة أبي الأنبياء الخليل  
 إبراهيم عليه السلام رمزاً لوحدة الدين، وفيه إحياء للرباط بين  
 قبلة الأمة الخاتمة وبين أول بيت وضع للناس في الأرض،  
 أيضًا لإحياء معنى وحدة الدين .. وفيه تجربة دنيوية  
 وروحية ليوم الحشر الأكبر، عندما يتجرد الناس من الدنيا  
 وزخرفها، ويلوذون بانواحد الديان، فيدخلون « المطهر »  
 الذي يخرجون منه وقد تطهروا من الذنوب كيوم ولدتهم  
 أمهاتهم .. وفيه كذلك من المنافع الدنيوية: التعارف بين  
 الأمم والشعوب والقوميات .. والهدى الذي يطعم منه  
 الفقراء والمعوزون .. وأيضًا التجارات التي تمثل سوقًا  
 مشتركة بين بلاد الإسلام ..

○ أما الزكاة: التي تزكي المال وتنميه بالبركات .. والتي  
 تزكي النفس المزكية والتي تحقق التكافل الاجتماعي بين  
 الأغنياء والفقراء، كي تصبح الأمة جسدًا واحدًا .. هذه الزكاة  
 لا أظن أن هناك من ينكر مردودها الدنيوي والمادي للذين  
 تبرر عقلايتهما ومعقوليتهما لكل الذين يعقلون!

هذا هو مكان العبادات الإسلامية من العقل والعقلانية  
 والمعقول، ذلك المكان الذي غفل عنه الجابري، عندما نظر  
 إلى هذه العبادات بعيون غريبة، ثم تر من العبادات الدينية  
 إلا تلك التي مارسها « الكهنوت المسيحي الخرافي » كأسرار



مقدسة، استعصت على العقل العاقل استعصاءً شديدًا.

بل إن الجوانب التعبدية - التي لا يعقلها العقل الإنساني في هذه العبادات الإسلامية؛ لأنها فوق العقل النسبي الإدراكي.. وليست مناقضة له، مثل عدد الركعات في كل صلاة.. ومثل تقبيل الحجر الأسود في مناسك الحج والعمرة - هي معقولة إذا نظرنا إليها كسبل لترويض المسلم على طاعة الله ﷻ في أداء الشعائر - التي لها حكمة إلهية، لا يعقلها الإنسان - إذ الطاعة في حد ذاتها عنوان المحبة لله.. وهي تجسد هذا المعنى تجسيدًا كبيرًا عندما تكون فيما لا يدرك الإنسان حكمته وعلته.. فمردودها « النفعي » - إذا جاز التعبير - متحقق.. ثم إنها - في العبادات الإسلامية - « هاشم » يؤدي هذه الوظيفة النافعة.. بينما العبادات الإسلامية - في جملتها - واضحة حكمها وعللها.. قائمة على العقل والمعقول.

## ( ٣ )

أما الخطأ الثالث: الذي وقع فيه الجابري، فلقد جاء في حديثه عن « التحسين والتقييح بالعقل » إذ أطلق القول بتفني ذلك التحسين والتقييح بالعقل عن الحنابلة - هكذا بتعميم وإطلاق - فقال:

« وأما الحنابلة فيقولون: إن وجوب النظر والاستدلال لمعرفة الله أمر يُعرف بالسمع وليس بالعقل، إذ لا مجال للعقل عندهم في تحسين شيء من المحسنات ولا تقييح شيء من المقيحات... »<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن الجابري - غفر الله له - قد أخذ صورة الحنابلة من أفواه أصدقائه الحداثيين الذين يخوضون حرباً شرسة ضد « المدرسة التجديدية »! ولو أن الرجل قرأ إبداعات فيلسوف السلفية ومجددها شيخ الإسلام ابن تيمية [ ٦٦١ - ٧٢٨ هـ / ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م ] - وهو حنبلي - لعرف أن التحسين والتقييح بالعقل هو اختيار أكثر مذاهب الإسلام - بمن فيهم الحنابلة - .. لقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

« وأكثر الطوائف على إثبات الحسن والقبح العقليين، وهذا قول الحنفية، ونقلوه أيضاً عن أبي حنيفة [ ٨٠ - ١٥٠ هـ / ٦٩٩ - ٧٦٧ م ] نفسه. وهو قول كثير من المالكية والشافعية

(١) في التعريف بالقرآن ( ص ١٢١ ) .

والحنابلة، كأبي الحسن النيسابوري [٣٧١هـ] وأبي الخطاب وغيرهما من أصحاب أحمد [١٦٤ - ٢٤١هـ / ٧٨٠ - ٨٥٥م] وكأبي علي بن أبي هريرة [٣٤٥هـ] وأبي بكر القفال الشافعي [٣٦٥هـ] وغيرهما من الشافعية، وكذلك من أصحاب مالك [٩٣ - ١٧٩هـ / ٧١٢ - ٧٩٥م] وكذلك أهل الحديث؛ كأبي نصر السجزي [٤٤٤هـ] وأبي القاسم سمد بن علي الزنجاني [٤٧١هـ] وغيرهما.

بل هؤلاء ذكروا أن نفي ذلك - [التحسين والتقيح بالعقل] - هو عن البدع التي حدثت في الإسلام.. قالوا: وإلا فنفي الحسن والتقيح العقليين مطلقاً لم يقله أحد من سلف الأمة ولا أئمتها. بل ما يؤخذ من كلام الأئمة والسلف في تعليل الأحكام وبيان حكمة الله في خلقه وأمره، وبيان ما أمر الله به من الحسن الذي يُعلم بالعقل، وما في مناهيه من القبح المعلوم بالعقل، بناهي قول النفاة.

والحسن والتقيح من أفعال العباد يرجع إلى كون الأفعال نافعة لهم وضارة لهم، وهذا مما لا ريب فيه أنه يُعرف بالعقل. ولهذا اختار الرازي (٥٤٤ - ٦٠٦هـ / ١١٥٠ - ١٢١٠م) - في آخر أمره - أن الحسن والتقيح العقليين ثابتان في أفعال العباد.

وأما إثبات ذلك في حق الله تعالى فهو مبني على معنى محبة الله ورضاه، وغضبه وسخطه، وفرحه بتوبة التائب، ونحو ذلك. وأما العقل، فأخص صفات العقل عند الإنسان أن يعلم

الإنسان ما ينفعه ويضله، ويعلم ما يضره فيتركه. والمراد بالحسن هو النافع، والمراد بالقبیح هو الضار. فكيف يقال: إن عقل الإنسان لا يميز بين الحسن والقبیح؟ وهل أعظم تفاضل العقلاء إلا بمعرفة هذا من هذا؟.

بل وجنس الناس يميل إلى من يتصف بالصفات الجميلة، وينفر عن من يتصف بالقبائح، فذلك يميل جنس الإنسان إلى سماع كلامه ورؤيته، وهذا ينفر عن رؤيته وسمع كلامه..

إن العقل يحب الحق ويلتذ به، ويحب الجميل ويلتذ به، وإن محبة الحمد والشكر والكرم هي من العقلات.. وإن للإنسان قوتين:

قوة علمية، فهي تحب الحق.

وقوة عملية، فهي تحب الجميل.

والجميل هو الحسن، والقبیح ضده..<sup>(١)</sup>

هذا هو الكلام النفیس لشيخ الإسلام ابن تيمية، فيلسوف السلفية ومجددها.. وفقه الحنابلة.. في مقام العقل في التحسين والتقبیح.. وفي أن ذلك هو مذهب «أكثر الطوائف الإسلامية».. وأن القول بغير ذلك بدعة طرأت - في الإسلام - كرد فعل على «الغلو العقلاني» الذي استورد

(١) ابن تيمية: كتاب الرد على المنطقيين (ص ٤٢٠ - ٤٢٢، ٤٢٩ - ٤٣٠،

٤٣٣)، طبعة دار المعرفة، بيروت.

« العقلانية اللادينية » بدلاً من عقلانية الإسلام المؤمنة..  
ولو أن الجابري - غفر الله له - قرأ ووعى هذا التراث  
الإسلامي لما ظلم - لا نقول الحنابلة - إنما نقول: لما  
ظلم الإسلام عندما أقام المقابلات والتناقضات بين الوحي  
والإيمان والعبادات - في الإسلام - وبين العقل والعقلانية  
والمعقول.. لكنه التقليد الأعمى للنموذج الحضاري  
الغربي - « حدوك النعل بالنعل » - هو الذي أوقع الجابري  
في هذه الأخطاء.

\*\*\*

## ( ٤ )

والخطأ الرابع: الذي وقع فيه الجابري هو إقامته التناقض بين التجربة الروحية - وفي القمة منها « التجربة النبوية » - وبين الحس والمحسوس والعقل والمعقول .. فقولُه:

« .. وأما التجربة الروحية فهي - على الأقل كما يضعها أصحابها - معاناة مع المطلق، تقع وراء الحس والمحسوس والعقل والمعقول، وغني عن البيان القول بأن تجربة النبوة هي أعلى قسم التجارب الروحية.. »<sup>(١)</sup>

وهذا الخطأ - هو الآخر - ثمرة من ثمرات الانطلاق من الفلسفة الوضعية الغربية - المادية - .. وإلا فإن الحس درجات .. والعقل درجات .. وصاحب التجربة الروحية يحسها ويعيشها - فهي ليست - بالنسبة له - وراء العقل والمعقول - حتى وإن لم يصل غيره إلى هذا المستوى من الحس والتعقل ..

وإذا كانت للحس قوانينه .. وللعقل قوانينه، فإن لما وراءهما قوانينه، التي وإن علت على بعض مستويات الحس والعقل، فإنها ليست مستحيلة لدى الحس والعقل.

ثم .. ألم تكن « تجربة النبوة » مع الوحي - في الاتصال بالملك، واللقاء بين العالمين العلوي والسفري - محسوسة

(١) في التعريف بالقرآن ( ص ٢٦ ) .

للنبي ﷺ ومعقولة ومتعلقة بالنسبة لـ؟... وألم تكن هذه  
 « التجربة النبوية » مشاهدة - أعراضها - بالحواس، ومعقولة  
 بالنسبة لمن شهدوها وشاهدوها من صحابة رسول الله؟  
 إنه - مرة أخرى - خطأ الجاهلي، عندما نظر إلى الروحية  
 الإسلامية بعيون الفلسفة الوضعية المادية الغربية.





## ( ٥ )

والخطأ الخامس: الذي وقع فيه الجابري قد حدث في المقارنة التي عقدها بين القرآن الكريم وبين التوراة والإنجيل.. فلقد سوى بين القرآن وبين التوراة والإنجيل، ولم ير فرقاً بينهما إلا في نزول القرآن باللغة العربية!!.. فقال:

« إذا لا يتميز القرآن عن حقيقة التوراة والإنجيل لا بمصدره ولا بمحتواه، وإنما يتميز بكونه نزل بلسان عربي مبين »<sup>(١)</sup>.

ولو أننا افترضنا أن الجابري يعني التوراة الحقيقية التي نزلت على موسى عليه السلام والتي لا وجود لها، ولا معرفة للجابري ولا لنا بها، حتى نقارن بينها وبين القرآن، وكذلك الإنجيل الذي جاء به المسيح عليه السلام والذي لا وجود له الآن.. لو افترضنا ذلك، لكان على الجابري أن يدرك تميز القرآن عن توراة موسى بشريعة مغايرة للشريعة التي جاءت بها التوراة لبني إسرائيل.. أما الإنجيل، فلقد أتى « بتعاليم » ولم يأتي « بشريعة » على الإطلاق؛ لأن المسيح قد اعتمد الناموس الذي جاء به موسى لبني إسرائيل..

كذلك تميز القرآن عن التوراة والإنجيل بالنظم البياني والبلاغي المعجز، فلقد ضم الإعجاز مع الرسالة.. وهذا ما يميزه عن كل الكتب والمصنفات التي جاء بها الخالون من المرسلين..

(١) في التعريف بالقرآن (ص ١٩٤).

كما تميز بالشريعة الخاتمة الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان..  
 أما إذا كانت مقارنة الجابري بين القرآن وبين ما بيد  
 اليهود والنصارى اليوم من أسفار العهدين القديم والجديد،  
 فإن تميز القرآن عنهما سيكون في المصدر أيضًا - مع  
 المحتوى - فالقرآن هو وحي الله المباشر إلى محمد ﷺ  
 بينما أسفار العهد القديم قد كتبها أحبار اليهود في منتصف  
 القرن الخامس قبل الميلاد.. أي بعد ثمانية قرون من عصر  
 موسى عليه السلام.. ومائوسى في هذه الأسفار - بشهادات  
 علماء نقد النصوص اليهود - تنف قليلة طغت عليها اللغائف  
 التي جمعت من الثقافة الشفهية عبر آلاف السنين<sup>(١)</sup>.  
 وكذلك الحال مع الأناجيل الأربعة، التي كتبت بعد عصر  
 المسيح عليه السلام بنمات السنين.

فخطأ شديد وأكيد وعجيب أن لا يجد الجابري فرقًا يميز  
 القرآن الكريم عن هذه الكتب إلا في غروية لغة القرآن!

\*\*\*

(١) انظر كتاب: تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور إلى العصر  
 الحديث: تحرير العالم اليهودي زلمان شازار، ترجمة: د. أحمد هويدي،  
 مراجعة وتقديم: د. محمد خليفة حسن، طبعة القاهرة.

## (٦)

والخطأ السادس: في مقارنة الجابري بين قصص القرآن عن أنبياء بني إسرائيل وما جاء عن هؤلاء الأنبياء في التوراة.. فلقد أخطأ الجابري عندما حكم بأن القرآن قد وقف عند «حكاية» ما جاء عن هؤلاء الأنبياء في التوراة.. وأنه لم يتميز - في هذا المقام - إلا في «طريقة العرض»!.. فقال:

«إن علاقة القرآن بالتوراة والإنجيل علاقة تصديق بصورة عامة، بل يمكن القول إنها - في مجال القصص - علاقة حكاية، بمعنى أن القرآن يحكي ما ورد في التوراة من أخبار أنبياء بني إسرائيل.

والحق أن الأصالة والإبداع في القرآن - في مجال القصص خاصة - هي في طريقته الخاصة في عرض القصص...»<sup>(١)</sup>

وفي هذا النص الذي كتبه الجابري على قفصه - العديد من الأخطاء:

○ فالقرآن قد جاء مصدقاً للتوراة والإنجيل - ولكل الكتب الإلهية السابقة - في التوحيد - الذي هو جوهر دين الله الواحد، عبر النبوات والرسالات - لكنه لا يمكن أن يكون مصدقاً لصورة الله في أسفار العهد القديم - صورة «يهوه» رب الجنود، الممتعش للدماء، والإله الخاص

(١) في التعريف بالقرآن (ص ٤٢٢، ٤٢٣).

بيني إسرائيل! -.. ولا يمكن أن يكون القرآن مصدقاً لصورة الرب في الأناجيل التي كتبها النصارى، والتي تقول عن المسيح <sup>(عليه السلام)</sup> إنه الرب « خالق كل شيء، وبه كان كل شيء، وبدونه لم يكن شيء، وهو الأول والآخر، والألف والياء! »..

ثم.. من قال إن القرآن الكريم قدموقف عند « حكاية ما في التوراة من أخبار أنبياء بني إسرائيل »؟..

إن الفارق بين صورة أنبياء بني إسرائيل في القرآن وصورتهم في أسفار العهد القديم هو الفارق بين الشرا والشرى!.. بين ديوان عصمة الأنبياء وتكريمهم وبين مستنقع ازدراء الأنبياء والمرسلين!..

### ○ قابو الأنبياء إبراهيم الخليل <sup>(عليه السلام)</sup>:

- صورته في التوراة صورة: الذي يحطى في تقدير أخلاق المصريين - عند دخوله إلى بلادهم - .. والذي يتواطأ مع زوجه سارة على الكذب، وعلى الديانة.. وإسلام زوجته الجميلة لمن يعاشرها في الحرام.. طمعاً في بقاءه حباً.. وطمعاً في الغنم والبقر والحُمير والجمال والعبيد يعطيها له فرعون مصر لقاء زوجته الجميلة!! [تكوين: ١٢: ١٠ - ٢٠]..

- بينما صورته في القرآن الكريم هي صورة: أبي الأنبياء.. الأمة.. الإمام.. الصالح.. المصطفى في الدنيا والآخرة..

والأواب.. الحليم.. المنيب.. الصديق.. خليل الرحمن..  
والأسوة الحسنة.. والناظر في الملكوت ليقيم الدليل العقلي  
على التوحيد.. ومحطم الأصنام.. ومظهر البيت الحرام..  
ورافع قواعده.. والذي صارت النار بردًا وسلامًا عليه..  
والممثل لأمر ربه أن يذبح ولده البكر الحبيب والوحيد..  
والذي عليه سلام الله..

○ وكذلك الحال مع نبي الله لوط عليه السلام:

- فسورته في العهد القديم صورة الذي سكر وزنى  
بابنتيه [تكوين، ٩: ٣٠-٣٨].

- بينما صورته في القرآن الكريم هي صورة العبد  
الصالح.. صاحب العلم والحكمة.. والناهي عن الفحشاء  
والمنكر.. والمتطهر.. الذي نجاه الله.

○ وكذلك الحال مع نبي الله داود عليه السلام:

- فسورته في العهد القديم هي صورة الفاسق المتلصص  
على عورات الناس.. والزاني.. والمتآمر.. والقاتل والمغتصب  
للنساء والزوجات [ضميريل الثاني، ١: ١١-٢٦].

- بينما صورته في القرآن الكريم هي صورة الخليفة  
الأواب.. الذي سبحت معه الطير والجبال.. وصاحب  
الزلفى وخسن المثاب.


○ وكذلك الحال مع نبي الله سليمان:  :

- فصورته في العهد القديم هي صورة زير النساء..  
الخارج عن أوامر الرب.. الباني النُصَب لعبادة الأوثان من  
دون الله، والعابد لهذه الأوثان [السلوك الأول، ١: ١١ - ١١].

- بينما صورته في القرآن الكريم هي صورة صاحب  
العلم والفضل الذي علمه الله منطق الطير.. وأعطاه ملكاً  
لا ينبغي لأحد من بعده.. والشاكر لأنعم الله..

وهكذا نجد أنفسنا أمام مدرستين في قصص الأنبياء:

- مدرسة ازدراء الأنبياء في العهد القديم..

- ومدرسة عصمة الأنبياء في القرآن الكريم.. عصمتهم  
فيما يبلغون عن الله مما ينفر أو يشين.. وذلك انطلاقاً من  
عقيدة التنزيه للذات الإلهية عن العينية، ومن وجوب الحكمة  
والكمال لذاته  فيه أوصفي من الأنبياء والمرسلين..

بينما العهد القديم هو مدرسة الازدراء للأنبياء والمرسلين  
التي تجردهم من العصمة، وتصفهم بالأوصاف الرديئة  
التي ينتزعه عنها الأسوياء من الناس، فضلاً عن المختارين  
المصطفين من الأنبياء المرسلين، الذين صنعهم الله على  
عينه، وهو أعلم حيث يجعل رسالته.

فكيف يجوز لعاقل - مثل الجابري - أن يسوي بين القرآن  
الكريم وكتب اليهود والنصارى.. ويقول: إن القرآن - في

مجال القصص - قد وقف عند حكاية ما ورد في التوراة من أخبار أنبياء بني إسرائيل؟<sup>(١)</sup>




---

(١) انظر كتابنا: الأنبياء في القرآن الكريم والكتاب المقدس، طبعة مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، سنة (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).



## (٧)

والخطأ السابع: هو الاختيار الجابري - ككثير من الذين يتعلقون بالعللانية المادية المادية - .. اختياره في قضية الإسراء والمعراج، حدوث ذلك في رؤية منامية، وليس في رحلة حقيقية معجزة.. وفي هذا يقول الجابري:

« والذي نختاره أن الإسراء والمعراج قد حدثا على صورة رؤيا منامية »<sup>(١)</sup>.

صحيح أن كثيرين قد اختاروا هذا الرأي.. وصحيح - كذلك - أنهم قد استندوا إلى روايات منسوبة إلى أم المؤمنين عائشة [٩ق هـ - ٥٨هـ / ٦١٣ - ٦٧٨ م] - رضي الله عنها - .. وإلى الحسن البصري [٢١ - ١٠٠هـ / ٦٤٢ - ٧٢٨ م] وابن إسحاق ( ١٥١هـ / ٧٦٨ م ).. لكن الجابري وهؤلاء الذين يستندون إلى هذه « الرواية » قد غابت عنهم - رغم تعلقيهم بالعللانية - « الدراية ».. ذلك أن الإسراء لو حدث في رؤية منامية لما كذبت قريش، ولما حدثت حياله الضجة التي حدثت.. ولما مثل « فتنة » ارتد بسببها عدد من المسلمين عن التصديق برسول الله ﷺ ودين الإسلام.

فحتى أبو جهل وأبو لهب، يمكن لأي منهما - ولغيرهما - أن يروا في المنام ما هو أعجب من رحلة الإسراء والمعراج،

(١) في التعريف بالقرآن (ص ١٩٠)

دون أن يشير ذلك ضجة ولا استغراباً، ودون أن يحدث ابتلاء وفتنه بين الناس.

والجابري يشير إلى هذه الضجة، وهذه الفتنة التي أحدثها إعلان الرسول ﷺ عن حادثة الإسراء والمعراج، فيقول:

« وكانت قريش قد أثارت ضجة كبيرة حول « الإسراء والمعراج » فقالوا:

هل يعقل أن يسافر الإنسان من مكة إلى بيت المقدس، ويعرج إلى السماء ويعود في ليلة واحدة؟.. وهم كانوا تجاراً يعرفون المسافات!..

وقد ارتد فعلاً بعض من كانوا أسلموا لأن عقولهم لم تصدق ذلك.. «<sup>(١)</sup>

ونحن نسأل أنصار العقلانية المادية، الذين يدفعهم - في الحقيقة - النفور من التصديق بالإعجاز والمعجزات، إلى القول بأن الإسراء والمعراج قد حدث في رؤية منامية.. نسألهم:

- وهل يعقل أن تثير الرؤية المنامية - مهما حوت من الغرائب - « ضجة كبيرة » في صفوف الشركاء.. و « فتنة » يرتد بسببها بعض المسلمين عن دين الإسلام؟!

إنه مازق العقلانية المادية.. الذي دفع أصحابه - ومنهم

الجابري - إلى ترجيح « الرواية » والتكرار « للدراية » !!... وإلى  
السقوط في اللاعقلانية في تفسير وقائع التاريخ...

\*\*\*

## ( ٨ )

والخطأ الثامن: هو ادعاء الجابري أن مصطلح « الإسلام » و « المسلمين » لم يطلق على المؤمنين برسول الله ﷺ إلا في وقت متأخر نسبياً من تاريخ البعثة والدعوة، وبعد أن أصبح هؤلاء المؤمنون جماعة تستسلم وتخضع لسلطة النبوة؛ لأن هذا المصطلح - « الإسلام » - يدل على « الخضوع لسلطة جماعة أو دولة .. » وفي هذا الادعاء يقول الجابري:

« إن تكرار فعل أسلم وما اشتق منه ( مسلمون - الإسلام .. إلخ ) لن نجد له إلا في سورة القلم، المتأخرة النزول - ( ترتيبها عند الجابري: ٢٥ ) - .

وإذا نحن بحثنا عن السبب في تأخر استعمال هذا اللفظ في القرآن وجدناه معقولاً تماماً. فاصطلاح « الإسلام » يعني الاستسلام والخضوع، ويكتسب في الحقل الدلالي العربي الخضوع لسلطة جماعة أو دولة، وهكذا لم يبدأ استعمال هذا اللفظ في القرآن إلا بعد أن صار من كانت تدعوهم قريش أتباع محمد جماعة يجمعونها كونها أتباع رئيس معين هو النبي ﷺ من جهة، وانفصالها عن قريش من جهة أخرى. وهكذا، فعندما لم تكن هذه الجماعة قائمة كان الذي يستجيب للدعوة المحمدية يوصف بلفظ « تزكى » .. «<sup>(١)</sup>!

نعم!.. هكذا قال الجابري!.. وهكذا فهم هذا الفهم العجيب، الذي ذكره في تفسيره: (فهم القرآن) ..

فهل جهل الرجل أن الإسلام إنما يعني إسلام الوجه لله، والخضوع لسلطانه، وليس «الخضوع لسلطة جماعة أو دولة»!؟..

وهل جهل أن هذا المعنى للإسلام يجعله عنواناً على كل من أسلم الوجه لله، حتى ولو كان فرداً واحداً، في شعب من شعاب الجبال!؟..

وهل جهل أن النبي ﷺ كان مسلماً حتى قبل أن يستجيب لدعوته أحد؛ لأنه كان مسلماً وجهه لله ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّي مَلَكٌ وَمُسْكٍ وَنَحْيٍ وَمَمَافٍ يَرْزُقُ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك لله، ومذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴿[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وهل جهل الجابري أن هذا المصطلح - الإسلام - لم يتأخر إطلاقه واستخدامه في الدعوة المحمدية.. لأنه مصطلح قديم قديم قدم دين الله الواحد، فالدين عند الله الإسلام.. وكل أنبياء الله ورسله - وكذلك أقوامهم الذين آمنوا بهم - كانوا مسلمين، وكان دينهم الإسلام؛ لأنهم جميعاً قد أسلموا الوجه لله، وخضعوا سلطته وسلطانه!؟  
وهل جهل - أيضاً - أن أيا الأنبياء - الخليل إبراهيم عليه السلام - قد سمي أمة محمد ﷺ بالمسلمين - في

القرن التاسع عشر قبل الميلاد - .. وليست قريش هي التي سميتهم بهذا الاسم - في القرن السابع للميلاد - ١٩ ﴿ هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [الحج: ٧٨].

وهل جهل الجابري أن آيات القرآن الكريم تصف رسول الإسلام ﷺ بأنه أول المسلمين ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ [الأنعام: ١٤].

وأن بلقيس قالت - في القرن العاشر قبل الميلاد - .. ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [السل: ٤٤، ٤٥].

وأن أنبياء إسرائيل كانوا مسلمين ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ﴾ - (التوراة) - ﴿ النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾ [المائدة: ٤٤].

وحتى فرعون عندما أدركه الغرق.. وعزم على الإيمان - بعد فوات الآوان أعلن أنه مسلم ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ، تَوَّابًا ﴾ [يونس: ٩٠].

هل جهل الجابري كل ذلك، حتى يدعي أن مصطلح «الإسلام» و«المسلمين» لم يطلق على الذين آمنوا بالدعوة الإسلامية إلا متأخراً، لأنه لا يطلق إلا على من خضع لدولة أو سلطة جماعة؟.. بينما آيات القرآن الكريم - الذي فسره الجابري - تستخدم هذا المصطلح - ومشتقاته - فيما يقرب من مائة وخمسين موضعاً للدلالة على من أسلم وجهه لله؟!..

## (٩)

والخطأ التاسع: هو إنكار الجابري الصدق التاريخي  
للقصص القرآني!

لقد شهدت الحياة الثقافية والجامعية - بمصر - في  
النصف الثاني من عقد الأربعينيات بالقرن العشرين معركة  
فكرية كبرى حول الرسالة الجامعية التي أعدها المرحوم  
الدكتور محمد أحمد خلف الله حول (القصص القرآني  
في القرآن الكريم) .. ذلك أن خلف الله قد اعتبر هذا  
القصص القرآني قصصاً فنيّاً، سبيل للعبرة والعظة، وليست  
له ولا لوقائعها مصداقية تاريخية..

وبعد معركة فكرية - وصلت ذيلوها إلى البرلمان  
المصري - أوقفت الرسالة، ومنعت مناقشتها وإجازتها..  
فلجأ خلف الله إلى موضوع آخر نال به درجة الدكتوراه..

وبعد نحو ستين عاماً جاء الجابري ليقول بما انتهى إليه  
خلف الله حول قصص القرآن الكريم.. فأعلن:

" .. ومع أننا لا نخلف كثيراً حول النتائج التي وصل إليها  
د. محمد خلف الله في ( الفن القصصي في القرآن )، إلا أن  
طريقنا إليها يختلف عن طريق خلف الله.. " (١)

المهم أن الجابري - مثل خلف الله - قد أنكر الصدق

(١) في التعريف بالقرآن (ص ٢٥٩).



التاريخي للقصص القرآني.. وقال:

« وفي نظرنا: فإن الصدق في القصص القرآني، سواء تعلق الأمر بالمثل أو بالقصة، لا يلتمس في مطابقة أو عدم مطابقة شخصيات القصة والمثل للواقع التاريخي، بل الصدق فيه مرجعه مخيال المستمع ومعهوده، فلا معنى لطرح مسألة الحقيقة التاريخية.. إن الحقيقة التي بطرحها القصص القرآني هي العبرة، هي الدرس الذي يجب استخلاصه.. »<sup>(١)</sup>.

وبعد أن ناقض الجابري نفسه - في ذات الصفحة - فقال:

« إن القصص القرآني ليس قصصاً خيالياً بل هو قصص يتحدث عن وقائع « تاريخية » تدخل ضمن مفهوم العرب.. »<sup>(٢)</sup>.

عاد فجازف مجازفة لا أظن أن أحداً من الذين جازفوا في الحديث عن القصص القرآني قد سبقه إليها..

لقد أنكر الرجل أن يكون الحوار الذي دار بين الأنبياء وأتباعهم أو بينهم وبين خصومهم قد حدث أصلاً؟!.. وشبهه بالحوار الذي لم يقع بعد بين أهل الجنة وأهل النار - اللتين لم يخلقا بعد - .. فهو حوار لم يسبق له الحدوث.. وفي هذه المجازفة قال الجابري:

(١) في التعريف بالقرآن ( ص ٢٥٨، ٢٥٩ )

(٢) المرجع السابق ( ص ٢٥٩ )

« .. أما ما يجري في هذا القصص من حوار بين الأنبياء وأتباعهم من جهة، وخصومهم من جهة أخرى، فهو في نظرنا كالحوار الذي يجري في القرآن بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، في وقت لم تقم فيه القيامة بعد.. »<sup>(١)</sup>

ومعنى هذا الذي قاله الجابري:

أن حوار نوح عليه السلام مع قومه لم يحدث.. وأن حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه لم يحدث.. وأن حوار لوط عليه السلام مع قومه لم يحدث.. وأن حوار موسى عليه السلام مع فرعون ومع السحرة ومع بني إسرائيل لم يحدث.. وأن حوار المسيح عليه السلام مع بني إسرائيل لم يحدث..

وإذا لم يكن حدث شيء من هذه المحاورات بين كل الرسل السابقين - عليهم السلام - وبين أقوامهم.. وإذا كانت تلك المحاورات التي قصها القرآن الكريم بين هؤلاء الرسل وبين أقوامهم هي كالمحاورات التي لم تقع بين أهل الجنة وأهل النار - اللتين لم تخلقا بعد - فإن معنى هذا أننا أمام سؤال:

- إذا ما الذي حدث بين هؤلاء المرسلين وبين أقوامهم<sup>(٢)</sup>.. هل هو الصمت التاريخي المطبق؟..

إن الرجل لا يتنى فقط « الصدق التاريخي » عن هذه

(١) في التعريف بالقرآن (ج ١ ص ٢٧٠).

الحوارات التي حكاها القرآن الكريم، ليقول - كما سبق وقال-: « إن الصدق فيها مرجعه مخيال المستمع ومعهودة » ١. وإنما ينهي حدوث الحوارات من الأساس..

ولولا مندوحة « التأويل العبي والفساد » لقال قارئ الجابري: إنه قد أوشك - والعياذ بالله - على تكذيب القرآن الكريم..



تلك نماذج من الأخطاء التي وقع فيها المرحوم الجابري في مشروعه للتعريف والتفسير للقرآن الكريم.. وهي « أخطاء » قد يدرجها البعض - أو يدرج بعضها - في عداد « الخطايا »..

لكننا أثرنا وضعها في باب « الأخطاء ».. تمييزاً لها عن « الخطايا الكارثية » التي سقط الجابري في مستقعها.. عندما تحدث عن الرسول ﷺ وعن القرآن الكريم..



٤

هذه الكتب هي:



خطايا.. لا مجرد أخطاء

( ١ )

أولى الخطايا: التي سقط فيها الدكتور محمد عابد الجابري - عفا الله عنه - هي تلك الصورة الشاذة التي رسمها لرسول الله، محمد بن عبد الله ﷺ.

فلقد ارتكب الجابري العديد من الخطايا في تصويره لخاتم الأنبياء والمرسلين..

○ لقد بدأ بإنكار عصمة الأنبياء والمرسلين - مع أن هذه العصمة هي عقيدة من كبريات عقائد الإيمان الديني، التابعة من الحكمة الإلهية في اصطفاء الأنبياء والمرسلين..

لكن الجابري قد أنكر عقيدة العصمة، معتبراً إياها مجرد « فكرة مسبقة » من أفكار « المذاهب الإسلامية » اكتسبت عند أصحاب هذه المذاهب طابعاً سياسياً.. وينص عبارته:

« ما نريد تأكيد هنا هو ضرورة التفكير في أي الذكر الحكيم بعيداً عن الأفكار المسبقة، مثل فكرة العصمة التي اكتسبت طابعاً مذهبياً سياسياً في الفكر الإسلامي »<sup>(١)</sup>.

والخطير - بل الأخطر - أن إنكار الجابري لعصمة

(١) فهم القرآن، القسم الأول ( ص ٤٧ ).

الرسول، المقصود منه هو نفي عصمة القرآن الكريم عن التغيير والتبديل!!.. كما ستشهد عليه نصيحة بالسقوط في المزيد والمزيد من الخطايا..

○ ولأن الله ﷻ قد قال في محكم الذكر الحكيم أنه سَيَقَرُّ رِسْوَتَهُ لِبَيِّنَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وأنه لن ينسأ - أي أن الله قد عصمه من النسيان - وجدنا الجابري في تفسيره للقرآن يقول عن آية: ﴿سَتَقَرُّنَا فَلَا تَكُنَ﴾ [الأصل: ٢٦].. كلاماً غريباً وعجيباً، أراد به نفي العصمة عن الرسول من النسيان، وصولاً إلى التشكيك في حفظ القرآن الكريم من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان!! قال:

« غير ظاهر أن المفعول الثاني لـ ﴿سَتَقَرُّنَا﴾ هو القرآن .. فالضمير في ﴿سَتَقَرُّنَا﴾ لا يعود بالضرورة على القرآن ، ولا على شيء معين من أمور الشرع .. »<sup>(١)</sup>

ولم يقل لنا الجابري على ماذا يعود ضمير الإقراء الإلهي للرسول إذا لم يعد على « القرآن ولا على أي شيء معين من أمور الشرع »!!؟ وما الذي نزل من السماء، فأقرأه الله لرسوله سوى الوحي والذكر الحكيم، المنضمن « لأمر الشرع »!!؟

ويبدو أن الجابري، الذي كثيراً ما قال في كتابه هذا -

(١) فهم القرآن، القسم الأول (ص ٤٦).

« ونقول مصادرنا » دون أن يذكر لنا أسماء هذه المصادر !! - يبدو أنه قد اغترف كثيرا من مواقع الشبكة العالمية للمعلومات - « الإنترنت » - التي جمعت الغث والسمين.. والتي تفتقر كثير من موادها إلى التوثيق العلمي، وإلى التحقيق - اغترف الجابري من مواقع « الإنترنت »، دونما تدقيق ولا فحص ولا تحقيق.. فكان « كحاطب النيل »، الذي جمع المادة المليئة بالكثير والكثير من المتناقضات!

فهو - هنا - قد نفى أن يكون الإقراء الإلهي للرسول، المعصوم من النسيان، هو القرآن.. لكنه يقول في مكان آخر - من عمله حول القرآن :-

« قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم: ﴿ لَا تُحَرِّك بِهِ بُكُفْرَ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ۝ بِمَا عَسَىٰ جَعَلَ قَوْلَهُ ۝ وَإِنْ عَلَيْنَا لجمعهم وقوله الله ۝ ﴿۷﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاقْبَلْ قَوْلَهُ ۝ ﴿۸﴾ ثُمَّ أَنْشَأْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ ۝ ﴿۹﴾ ﴾ [القيامة: ١٦-١٩] - [ يقول ] - :

فالآية صريحة في أن طريقة قراءة القرآن هي من الله ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاقْبَلْ قَوْلَهُ ۝ ﴾ (١).

فيقطع بأن الإقراء الإلهي للرسول.. وأن المقروء هو القرآن - ناقضا بذلك ما زعمه من أن الإقراء والمقروء ليس القرآن، ولا أي شيء معين من أمور الشرع!..

○ ويذهب الجابري على هذا الطريق الشاذ إلى حيث

يدعي على الفرق الإسلامية اختلافهم حول عصمة الأنبياء والمرسلين!! وكذلك الزعم بأن أهل السنة والمعتزلة قد أجمعوا على جواز المعاصي - الصغائر والكبائر - على الأنبياء والمرسلين - مع بعض القيود والتحفظات -!! ويتنص عباراته:

« إن اهتمام الفرق الإسلامية كان مركزا على إثبات نبوة محمد ﷺ وما به تثبت، وعلى ما يميز النبي عن سائر البشر، مثل تلقي الوحي، وكيفية التلقي، واحتمال تعرضه للنسيان. وهل هو معصوم أم غير معصوم؟..

فأهل السنة - كالمعتزلة - يتعاملون مع مفهوم النبي بوصفه يدل على واحد من البشر اختاره الله لهذه المهمة، وبالتالي فهو ليس معصوما، عصمة كلية، لا عن النسيان ولا عن السهو والخطأ ولا عن المعاصي، الكبائر منها والصغائر، وإن كانوا يصنعون لذلك حدودا وقيودا تمنع من المس بعلو شأن النبي وطهارة سلوكه وأمانته، خصوصا في مرحلة التبليغ عن الله، بحيث ينفون عنه النسيان والسهو والخطأ في هذا المجال، وذلك إبعادا لشبهة النقص والتغيير عن القرآن<sup>(١)</sup>.

وفي هذا التنص الواحد يدعي الجابري أن الفرق الإسلامية - السنة والمعتزلة - لم يقولوا بعصمة الأنبياء

(١) في التعريف بالقرآن (ص ١١٥).



عن النسيان والسهو والخطأ والمعاصي - الكبائر منها والصغائر - ثم يقول - في ذات النص - إنهم نفوا عن النبي السهو والنسيان والخطأ في التبليغ؛ أي أنهم أثبتوا العصمة ولم يختلفوا فيها - كما سبق وادعى -.. لكنه ظل على ادعائه أن هذه الفرق قد آجازت المعاصي - الكبائر منها والصغائر - على الأنبياء والمرسلين!.. وهو ما سيأتي دحضه.. ودحض ما ذهب إليه الجابري من أن العصمة هي مجرد « فكرة مذهبية نسبية.. اكتسبت طابعاً سياسياً ».

سيأتي دحض كل ذلك، بنصوص أئمة كل مذاهب فرق الإسلام.

○ ولقد رتب الجابري على نفيه عقيدة عصمة الرسول ﷺ ادعاء أن النبي « كان يتباه بالشعور بالفشل في أداء مهمته!.. بسبب إعراض ملاء فريش عن دعوته!.. وأنه كان « يشعر بالأسى على نفسه »!.. بسبب هذا الإعراض!.. وينص عبارات الجابري:

« .. ولقد كان طبيعياً تماماً أن يعترى محمداً - عليه الصلاة والسلام - ما يعترى البشر - وهو واحد منهم - من أحوال نفسية وتمنيات من هذا النوع أو ذاك، وكان من الطبيعي كذلك أن يتباه الأسى والأسف من حين لآخر بسبب إصرار قومه على الإعراض عن دعوته..

ولا شك أن الرسول ﷺ كان يحس في بعض الأحيان.. بما

يشبه الشعور بالقتل في مهمته<sup>(١)</sup>.. والرسول بشر، فكان لا يد أن يقلق ويتخوف من أن يؤدي إصرار قریش على عدم الاستجابة لدعوته إلى فشله في تبليغ رسالته.. ولقد كان النبي - حين نزول آية الشعراء - في حالة نفسية قلق، بسبب إعراض قریش عن الاستجابة.. «<sup>(٢)</sup>!

والجابري - بهذا التصوير الشاذ لرسول الله ﷺ - قد وقف - فقط - عند بشرية الرسول.. فحكم بأنه « من الطبيعي تمامًا أن يعنیه ما يعنري البشر - وهو واحد منهم - من أحوال نفسية... »

وتجاهل الجابري أن الرسول ﷺ بشر، ولكنه بشر يوحى إليه.. هو بشر، لكنه قد اصطفاه الله واختاره وأعدّه وصنعه على عينه، واستخلصه.. وأنه قد صار - بذلك - حلقة الوصل بين العالم البشري والعالم العلوي.. صار عقل العالم البشري، المتلقي عن السماء.. صار - بعبارة الإمام محمد عبده [١٢٦٦-١٣٢٣ هـ / ١٨٤٩-١٩٠٥ م] « بمنزلة العقل من الشخص.. وأصبح في المرتبة العلوية على نسبة من العالَمين، نهاية الشاهد وبداية الغائب، فهو في الدنيا كأنه ليس من أهلها، وهو رسول الآخرة في لباس من ليس من سكانها<sup>(٣)</sup>! »

(١) فهم القرآن، القسم الأول (حين ١٢٦، ١٢٧).

(٢) المرجع السابق، القسم الأول (ص ٣٢١)

ولذلك، فإن شعور الرسول ﷺ بالقلق لم يكن خوفاً من فشله في تبليغ رسالته - كما ادعى الجابري - وإنما كان قلقاً وأسى وإشفاقاً على مصير المكذبين.. لأنه ﷺ كان وثاقاً الثقة المطلقة من صدق الوعد الإلهي في تبليغ رسالته، وفي انتصار الإسلام وظهوره على الدين كله ولو كره الكافرون والمشركون.. ثم هل يشعر بالفشل من ثبت الله فؤاده بتنجيم نزول القرآن عليه منجماً، ليدوم هذا الشيت؟!.

ثم إن هذا الملامن فريش، الذين كذبوا وعاندوا، وذهبوا في التكذيب والمعاندة كل مذهب كان الرسول ﷺ على علم يقيني بأنهم لن يؤمنوا، فلم تكن هناك أوهام حول موقفهم ومصيرهم.. لقد أخبره ربه - سبحانه - منذ البداية:

﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْفُسِهِمْ مَغْضَاةً فَهُمْ إِلَّا آلَاءُ قَالَ فَهُمْ مُّكْذِبُونَ ٨ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠ ﴾ [يس: ٧ - ١٠].

فلم تكن لديه ﷺ آمال قد خابت في إيمان هؤلاء.. ومن ثم فلم يكن هناك قلق من الفشل في نجاح رسالته - عليه الصلاة والسلام - ..

ثم إن مولاه ﷺ قد حدد له - منذ البداية - أن مهمته هي البلاغ .. وأنه لن يهدي من أحب.. ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقَدْ أَنْزَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا

إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاءُ ﴿٤٨﴾ [الشورى: ٤٨]، هكذا حدد القرآن الكريم - منذ البداية.. وفي السور المكية - مهمة الرسول.. ومصير هؤلاء المكذبين المعاندين الجاحدين من ملأ قريش وعتاة المجرمين فيها..

ولقد كان حريًا بالجابري - كمسلم - أن يسأل نفسه:

- هل يتطرق الشعور بالفشل في أداء رسالته إلى من قطع ربه الوعد له فقال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾ كما قال له: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ [السادة: ١٦٧].. فقطع بعصمته في بلاغ رسالته.. وبالحكم على الكافرين به بالضلال..

- وهل يتطرق الفشل إلى من نزلت عليه المعجزتان، فكان متحصنًا بالله، ولائدًا به.. ومتعوذًا به من شياطين الإنس والجان؟!

- وهل يتطرق الشعور بالفشل إلى من رفض، وهو في قمة الاستضعاف.. والحصار.. والإيذاء - رفض المساومة.. والمملك.. والسيادة.. والصال.. والجاه، وقال لعمه أبي طالب - عندما عرض عليه وطلب منه شيئًا من مهادنة الكفار -:

«وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالتَّمْرَ فِي بَسَاطِي، عَلَى

أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه..!!  
 فرفع سقف الغداء إلى القمة.. قمة إمام أولي العزم.. وهو  
 الذي ناجى ربه، بعد أن صدّه مشركو الطائف، وأهانوه،  
 وأغروا به سفهاءهم فحصبوه حتى سالت دماؤه الزكية!!  
 فاشتكى إلى ربه ضعف قوته، وقلة حيلته، وهوانه على  
 الناس.. لكنه - وهو في قمة الاستضعاف - أعلن إصراره  
 على عدم المبالاة بهذا الذي صنعوه - ويصنعونه - به من  
 الحصار.. والإقصاء.. والإيذاء، أعلن إصراره على المضي  
 لتحقيق وعد الله بالنصر المبين.. فقال - مناجيًا مولاه -:  
 «إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي»!!

قالتها، وهو على يقين من الرضى الإلهي، الذي يتزايد  
 ويتضاعف مع تزايد المعاناة والابتلاء - وهما من سنن  
 الله في النبوات والرسالات - قص قصصهما عليه القرآن  
 الكريم..

لقد صنعه الله على عينه، وأعداه للنهوض بتغيير  
 العالم - دينه وديناءه - وتبديل معنى الحضارة ومحتواها  
 ومقاصدها.. وبتحويل مجرى التاريخ.. وكشف له ربه -  
 منذ البداية - أنه قد أعد له ليحمل أثقل الأمانات ﴿إِنَّا كُنَّا  
 عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [الزمر: ٥].. وأنزل عليه القرآن، الذي مثل  
 الجهاد الكبير ﴿وَجَاهِدْهُمْ يَوْمَ جِهَادٍ كَبِيرٍ﴾ [الفرقان: ٥٢].  
 - هل يتطرق الشعور بالفشل إلى من كان - وهو في قمة

الاستضعاف - على يقين جازم بأن الله ناصره، ومظهر دينه على الدين كله.. وأن القلة التي آمنت به سترث عروش الأكاسرة والقياصرة، فقال للجملا من قريش:

" هل أنتم مُعْطِي كَلِمَةٍ إِنْ أَنْتُمْ نَكَلِمْتُمْ بِهَا - [ كلمة التوحيد ] - ملككم بها العرب، ودانت لكم بها المعجم ؟! "

- هل يتطرق الشعور بالفشل إلى إمام أولي العزم من الرسل ؟!.. الذي أنزل الله عليه القرآن منجماً ليثبت به فؤاده تبييناً دائماً ﴿ إِنِّي نَزَّيْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ ( الفرقان: ١٣٢ )

أم أن القول بذلك هو لون بائس من " الفشل الفكري " الذي يعاني منه المحرومون من فقه الحكمة الإلهية في الاصطفاء للأنبياء والمرسلين ؟!

\*\*\*

وإذا كان الجابري - سامحه الله - قد سقط في هذه الدعاوى، التي نسبها إلى رسول الله ﷺ انطلاقاً من نفيه العصمة عنه.. وادعائه أن العصمة هي مجرد « فكرة مذهبية مسبقة »!.. فإن حقائق العلم الديني - في دين الله الواحد - عبر النبوات والرسالات - تقطع بأن العصمة: عقيدة إيمانية، يقتضيها ويشهدها العقل قبل النقل..

○ فلو أن كاتباً ومفكراً، وصاحب مشروع فكري - كالجابري مثلاً - أراد أن يوصل « رسالته الفكرية » إلى

الجمهور، لكان حريصاً على أن يصطفي ويختار « الناشر »  
القادر والمؤمن على توصيل « رسالته الفكرية » كاملة غير  
منقوصة.. ولو أن هذا المفكر والمؤلف قد اختار توصيل  
« رسالته الفكرية » من يجوز عليه - أو يتصور منه - النسيان  
أو التبديل لشيء - ولو يسير - من هذه « الرسالة الفكرية »،  
لقدح ذلك في حكمة هذا المفكر والمؤلف، ولمحقق به  
شبهة « العبث » و « الإهمال »!..

وكذلك الحال مع أي ملك أو حاكم، يريد إيصال  
« رسالة » إلى طرف آخر، لا بد - إن كان حكيماً - أن يختار  
ويصطفي « الرسول » الذي لا يبدل ولا يحذف - سامياً  
أو عامداً - شيئاً من الرسالة التي يريد إيلاغها.. والذي  
لا يضعف عن إيلاغ هذه الرسالة.. وإلا كان هذا الملك  
أو الحاكم معذوداً في زمرة « الغافلين - العابثين ».

○ وإذا كان هذا هو حال البشر - أصحاب الحكمة  
النسبية - فهل يتصور عاقل أن يصطفي الحكيم العليم  
الخبير، لتبليغ رسالته الخاتمة الشاملة الخالدة من يجوز عليه  
أو يتصور منه السهو أو النسيان أو التبديل لشيء من مكونات  
هذه الرسالة الإلهية؟!.. أو يتطرق إليه الضعف أو النشل في  
أداء هذه الرسالة؟!.. أو أن يكون ممن تجوز عليه الصفات  
المنفرة منه - كرسول - فتضعف من قدراته على أداء الرسالة..  
ومن ثم تقدح في حكمة الذي اختاره واصطفاه؟!..



إن أحكم الحاكمين، وصاحب الحكمة المطلقة، هو ﴿ أَكْمَلُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].. وإن حكمته - سبحانه - قد اقتضت الاصطفاء والاختيار لهؤلاء ﴿ الَّذِينَ يَكُونُونَ رِسَالَتِي اللَّهُ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٢٩].. ولذلك، فإن عصمة المرسلين في التبليغ عن الله هي عقيدة دينية، تقتضيها «الحكمة العقلية» قبل «النصوص النقلية».. ولم يخرج عن هذه العقيدة - من المستسيين للفكر الديني - سوى الجاهلات اليهود الذين كتبوا بأيديهم أسفار العهد القديم، ونسبوا فيها ما بنا في العصمة إلى الأنبياء والمرسلين.. ثم لحق بهم النصارى الذين أرادوا - لتمييز المسيح ﷺ عن الرسل والأنبياء - تبني الفكر اليهودي - التلمودي - في نفي العصمة عن الأنبياء والمرسلين.

○ كذلك فالعصمة للمرسلين عقيدة من أمهات العقائد الإيمانية؛ لأنها تمثل ضمانه الصدق والكمال والتمام للوحي الذي بلغه الرسول، وفي هذا الوحي جماع عقائد الدين.. فما جاء به الوحي الإلهي عن الألوهية، وصفات الذات الإلهية، وعن النبوات والرسالات، وعن الكتب السماوية، وعن الملائكة، وعالم الغيب، والحساب والجزاء.. تتوقف الثقة في معالم هذه العقائد الأمهات على صدق البلاغ والتبليغ.. وشرط هذه الثقة العصمة لصاحب البلاغ والتبليغ. ولأن الجابري - سامحه الله - قد زعم اختلاف الفرق الإسلامية حول عصمة الرسل.. كان لا بد من أن تقدم طرفاً



من نصوص أئمة هذه الفرق الإسلامية قديماً وحديثاً، ومن مشارق بلاد الإسلام ومغاربها، وعلى اختلاف مذاهبهم الكلامية والفقهية - تلك النصوص القاطعة بأن العصمة للمرسلين هي عقيدة من أمهات العقائد الإسلامية التي لم يختلف عليها أحد من علماء الإسلام..

○ لقد أفاض القاضي عياض [ ٤٧٦ - ٥٤٤ هـ / ١٠٨٣ - ١١٤٩ م ] في الحديث عن هذه العقيدة الإيمانية الإسلامية - في كتابه الفذ ( الشفا بتعريف حقوق المصطفى ) - الذي مثل معلماً من معالم تراث الإسلام، فقال:

« .. فالأنبياء والرسل - عليهم السلام - وسائط بين الله تعالى وبين خلقه، يبلغونهم أوامره ونواهيه، ووعده ووعيده، ويعرفونهم بما لم يعلموه من أمره وخلقته وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته، فظواهرهم وأجسادهم وبينتهم متصفة بأوصاف البشر، طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية.

وأرواحهم وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر. متعلقة بالملأ الأعلى، متشبهة بصفات الملائكة، سليمة من التغير والآفات، لا يلحقها غالباً عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية، إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما أطاقتوا الأخذ عن الملائكة، ورؤيتهم ومخاطبتهم، ومخالتهم، كما لا يطبقه غيرهم من البشر .

ولو كانت أجسادهم وظواهرهم تتسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما أطاق البشر ومن أرسلوا إليهم مخاطبتهم ﴿ قَدْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَتَسَوَّى مَلَائِكِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمُ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٥] ..

فجعلوا، من جهة الأجسام والظواهر مع البشر، ومن جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة.. فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة عن النقائص والاعتلالات..

واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان، وكفايته منه؛ لا في جسده بأنواع الأذى، ولا على خاطره بالوساوس..

وأما أقواله ﷺ فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه، وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به، لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً..

ولقد وقع إجماع المسلمين على أنه لا يجوز عليه خُلُفٌ في القول في إبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر به عن ربه، وما أوحاه إليه من وحيه، لا على وجه العمد ولا على غير عمد، ولا في حال الرضى والسخط، والصحة والمرض.. ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا رَحْمٌ يُّوْحَىٰ ﴾ [النجم: ٤، ٣] .. ﴿ وَمَا تَنصُرُكُمُ الرَّسُولُ فَاخْذُوا وَمَا نَهَيْكُمُ عَنْهُ فَأْتُوهُ ﴾ [الحشر: ١٧] ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [النساء: ١٧٠] ..

فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أي وجه كان، فلو جوزنا عليه الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره، ولاختلط الحق بالباطل..

فلا خلاف أنهم - [ الرسل ] - معصومون من كتمان الرسالة والنقصير في التبليغ؛ لأن ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الإجماع على ذلك من الكافة..  
هذا فيما طريقه البلاغ.

وأما ما ليس سبيله سبل البلاغ من الأخبار التي لا مستند لها إلى الأحكام، ولا أخبار المعاد، ولا تضاف إلى وحي، بل في أمور الدنيا وأحوال نفسه، فالذي يجب اعتقاده: تنزيه النبي ﷺ عن أن يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره، لا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً، وأنه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه، وجدّه ومرحّه، وصحته ومرضه، ودليل ذلك اتفاق السلف وإجماعهم عليهم.. وما نُقل في تلقيح النخل كان رأياً لا خبراً.. ولقد أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر والموبقات.. وأما في الصفات.. فالصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره، وسهوه وعمده؛ إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي ﷺ، وتجويز شيء من هذا قاذح في ذلك مشكك فيه مناقض للمعجزة.. وقال بعض المشايخ: إن النبي ﷺ كان يسهو ولا ينسى، ولذلك نفى عن نفسه النسيان.. لأن النسيان غفلة وآفة، والسهو إنما هو شغل.. فكان النبي ﷺ يسهو في صلاته ولا يغفل عنها،

وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة، شغلا بها لا غفلة عنها..

ولقد جاوز جماعة من السلف وغيرهم الصغائر على الأنبياء، وهو مذهب أبي جعفر الطبري [ ٢٢٤ - ٣١٠ هـ / ٨٣٩ - ٩٢٣ م ] وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين.. وذهبت طائفة أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كمعصمتهم من الكبائر..

أما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الأحكام من أفعاله ﷺ وما يختص به من أمور دينية وأذكار قلبية مما لم يفعله لِيُبَيِّنَ فيه، فالأكثر من طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها، ولحقوق الفترات والغفلات بقلبه، وذلك بما كُلفه من مقاساة الخلق، وسياسات الأمة، ومعاناة الأهل، وملاحظة الأعداء، ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الانصاف، بل على سبيل الندور، كما قال ﷺ: «إنه ليغان على قلبي - [ يتشابه ] - فاستغفر الله ». وليس في هذا شيء يحط من رتبته، ويناقض معجزته.

وذهبت طائفة إلى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه ﷺ جملة، وهو مذهب جماعة من المتصوفة وأصحاب علم القلوب والمقامات .. (١).

(١) القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ج ٥، ٤٧٨، ٤٨٧، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٢، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٤٣)، طبعة دار التراث، القاهرة، سنة (١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م).

هكذا تحدث الإمام المالكي القاضي عياض عن عقيدة العصمة للرسول ﷺ التي أجمع عليها المسلمون في التبليغ عن الله.. وفي الأخبار - في أمور الدين والدنيا - لا عمدا ولا سهواً ولا غلطاً.. كما أجمعت على عصمته من الذنوب الكبائر.. وقال عنماؤها: إن الصواب هو عصمته من الصغائر أيضاً..

وأما « الآراء » التي لا علاقة لها بالبلاغ ولا بالأحكام ولا بالأخبار.. والتي هي في أمور الدنيا، فإنها اجتهادات بشرية يرد عليها الخطأ والصواب، لكن الخطأ فيها لا يأتي على سبيل التكرار والاتصال..

وذهبت طائفة إلى عصمته ﷺ من ذلك أيضاً..

ولو أننا اكتفين بهذا « المقال » النفيس الذي كتبه الإمام العظيم القاضي عياض، في إجماع الأمة على عصمة المرسلين، لكان ذلك كافياً شافياً.. لكننا سنورد من نصوص علماء الأمة - على اختلاف مذاهبهم - ما يؤكد هذا الذي ذهب إليه القاضي عياض.. وذلك حتى نضع القارئ أمام « مقالات الإسلاميين » في هذا المقام العظيم - مقام عصمة الأنبياء والمرسلين..

\*\*\*

○ فعلى ذات الدرب سار فيلسوف السلفية، وفقه الحنابلة، شيخ الإسلام ابن تيمية ( ٦٦١ - ٧٢٨ هـ / ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م )

فقال عن عصمة الأنبياء والمرسلين:

« إن الأنبياء - صلوات الله عليهم - معصومون فيما يحجرون به عن الله - سبحانه - وفي تبليغ رسالته باتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه. كما قال تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦]. فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ قُولُوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَيُكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٦، ١٣٧].. وقال: ﴿ وَلَكِنْ أَنتَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].. وقال: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]..

وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة، فإن النبي هو المسمى عن الله، والرسول هو الذي أرسله الله تعالى، والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة، فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين.

والعصمة في التبليغ معلومة بدليل الشرع والعقل والإجماع..

وإن الله ﷻ لم يذكر عن نبي من الأنبياء ذنباً إلا ذكر توبته منه، ولهذا كان الناس في عصمة الأنبياء على قولين:



إما أن يقولوا بالعصمة من فعلها - [ أي الذنوب ] - .

وإما أن يقولوا بالعصمة من الإقرار عليها، ولا سيما فيما يتعلق بتبليغ الرسالة، فإن الأمة متفقة على أن ذلك معصوم أن يقر فيه على خطأ، فإن ذلك يناقض مقصود الرسالة ومدلول المعجزة...<sup>(١)</sup>

\*\*\*

○ وعلى ذات الدرب - درب اجتماع الأمة وإجماعها على عصمة الأنبياء والمرسلين \* بدليل الشرع والعقل والإجماع \* كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - سار إمام الظاهرية وفيلسوفها ابن حزم الأندلسي ( ٣٨٤ - ٤٥٦ هـ / ٩٩٤ - ١٠٦٤ م ) فقال معبراً عن اجتماع الأمة - بفرقها المختلفة - على العصمة للأنبياء والمرسلين:

« وذهبت جميع فرق أهل الإسلام، من أهل السنة والمعتزلة والنجارية والخوارج والشيعة، إلى أنه لا يجوز البتة أن يقع من نبي أصلاً معصية بعمد، لا صغيرة ولا كبيرة.. وهذا هو القول الذي تدين الله تعالى به، ولا يحل لأحد أن يدين بسواه »<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن تيمية: الفتاوى ( ١٧٠ / ١٧٣، ١٧٣، ١٧٣ )، ( ٨٧ / ١٥٠ )، طبعة دار الوقاء، سنة ( ١٤٣١ هـ ) .

(٢) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ( ٤ / ٢٩ )، حبعة مكتبة ومطبعة صبيح، القاهرة.

○ ومع هذه الكوكبة من أعلام العلماء سار الإمام القرطبي [ ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م ] فقيه المفسرين للقرآن الكريم.. وأحد أعلام المذهب المالكي، فقال - في تفسيره لقول الله تعالى ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْفُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ( المائدة: ٦٧ ) - : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ دليل على نبوته؛ لأن الله ﷻ أخبر أنه معصوم، ومن ضمن سبحانه له العصمة فلا يجوز أن يكون قد ترك شيئاً مما أمره الله به <sup>(١)</sup>.



وإذا كنا قد قدمنا هذه النصوص التي سطرها أعلام من علماء الأشعرية والسلفية والظاهرية - وهم جمهور أهل السنة والجماعة - وهي النصوص الشاهدة على الإجماع والاجتماع على عصمة الأنبياء والمرسلين، كعقيدة إيمانية ثابتة بالشرع والعقل والإجماع.. فإن مما يسترعي الانتباه أن هذا الحسم في هذه القضية عند المعتزلة - فرسان العقلانية الإسلامية - لم يكن أقل منه عند الأشعرية والسلفية والظاهرية.. بل زيمما كان الحسم عندهم أكبراً..

○ فقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمداني [ ٤١٥ هـ / ١٠٢٥ م ] يقرر:

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ( ٦ / ٢٤٣ )، طبعة دار الكتب المصرية.



- أن العصمة للأنبياء والمرسلين هي من مقتضيات الحكمة الإلهية، ومن ضروريات البعثة التي تقتضي التعظيم والتبجيل للرسول ﷺ ..

- وأن الرسول معصوم من تعمد المعصية، ومن وقوعها منه حتى على وجه التأويل ..

- وأنه معصوم فيما يخبر به ..

- ومعصوم من الكذب والتغيير والتبديل فيما يؤديه عن الله ..

- ومعصوم قبل البعثة وبعدها من الكبائر ومن كل ما يتفرع .. ومن الصغائر التي تنفر ..

- وأن السهو والغلط ممتنعان عن الرسول ﷺ في التبليغ، كامتناع الكذب والكتمان عليه ..

- وأن جواز السهو على الرسول ﷺ إنما يكون فيما سبق له أدائه أداءً كاملاً - مثل السهو في الصلاة التي سبق وأداها كاملة - الأمر الذي ينفي شبهة الإخلال بالبلاغ الكامل لهذا الذي وقع فيه السهو ..

نعم .. يقرر المعتزلة ذلك كله، ويقولون - بلسان القاضي عبد الجبار - :

« إنه لحكمة الله تعالى، ولأن غرضه من البعثة تعريف المصالح؛ لو علم أنه - [ الرسول ] - يختار الكذب فيما يؤيده

لم يكن ليعثه، لأن ذلك ينافي بالحكمة..

فإن قال: فيجب لمثل هذه العلة، ألا تجوزوا عليه السهو والغفلة فيما يؤديه، وقد ثبت في كثير من العبادات أنه سهوا فيه، وأخطأ، كنحو ما نقل عنه في الصلاة من السهو، والكلام..

قبل له: إنما لا تجوز عليه السهو والغفلة فيما يؤديه عن الله تعالى لمثل هذه العلة التي تقدم ذكرها؛ لأنه لا فرق، في خروجه من أن يكون مؤدياً، بين أن يسهو ويغلط، أو يكتم ويكذب، فحال الكل يتفق في ذلك ولا يختلف، وإنما تجوز أن يسهو في فعل قد بينه من قبل، وأدى ما يلزم فيه، حتى لم يغادر منه شيئاً. فإذا فعله لمصالحه لم يمنع أن يقع فيه السهو والغفلة. ولذلك لم نثبت على أحد الحال في أن الذي وقع منه سجدة من القيام في - [ الركعة ] - الثانية هو سهو..

وإذا كان الخطأ والسهو فيما يؤدي - [ الرسول ] - عن الله تعالى لا يجوز؛ فتعمد المعصية، أو وقوعه على وجه المعصية بتأويل، بالألا يجوز أولى.

وقد استدلل شيخنا أبو هاشم - [ الجبائي ] ٢٤٧ - ٣٢١هـ / ٨٦١ - ٩٣٣ م [ رحمه الله - على ذلك أيضاً، بأن قال: قد عرفنا، بالعلم المعجز، أنه يجب أن يصدق في سائر ما يخبر به، وأنا قد تعبدنا بذلك من حاله، وتصديق الكذاب لا يكون إلا كذباً، لأنه تعبد بالقبح، تعالى عز عن ذلك، فيجب ألا يجوز عليه الكذب. وقوي ذلك بإجماع الأمة؛ لأنه لا خلاف بينها أن الواجب في كل ما يخبر عنه، أن يصدق فيه، وهذا يمنع من تجويز الكذب في أخباره...

ولأن العقل يدل على أنه تعالى إذا كان إنما يبعث الرسول لتعريف  
المصالح، ويظهر عليه العَلَمُ لإيجاب القبول منه، فلا بد من أن يكون  
معظماً في الصدور، مستحقاً للرفعة، وإلا لم يحسن في الحكمة أن  
يُبعث. فصار تقدم هذه المعرفة يقتضي أنه إذا ظهر عليه العَلَمُ، فلا بد  
من استحقاقه التعظيم والتبجيل، وأن يكون منزهاً عن الاستخفاف  
والإهانة.. فإن الغرض بإظهار المعجز هو كونه صادقاً فيما يؤدبه من  
الرسالة، وإن كان صريحه يدل على أنه صادق في أنه رسول.

ولو جَوَّزنا عليه الكبائر لجَوَّزنا أن يكذب فيما يؤدبه، وبغيره،  
وببدله، وهذا يقدح في دلالة العَلَمِ على ما يدل عليه..

ولا يجوز على الرسول، قبل البعثة، شيء من الكبائر،  
وما يجري مجراها في التنفير.. يدل على ذلك أن وقوع ذلك منهم  
ينفّر عن القبول، وتنزيههم عنه يقتضي سكون النفس إليهم، وأن  
يقوي الدواعي في القبول منهم.

وقد بينا أن بعثتهم مصلحة، وأنه لا بد من أن نفع على أقوى  
الوجوه في كونها مصلحة؛ وأقواها وأولاها أن يكون المبعوث  
منزهاً عن هذه الأمور المنفرة في كل حال، فيجب أن يثبت  
كذلك، ولا يجوز خلافه...

[ وكذلك الصفات المنفرة ].. فنحن لا نجوز عليهم -  
[ الرسل ] - الصفات إذا كانت منفرة، ولذلك لم نجوز عليهم  
الكذب ولا الصفات المستخفة...

أما الصغير الذي لا يُسْتَحَفُّ فاعله فقير معتد به؛ لأنه بمنزلة الإقلال من النوافل، فلا يؤثر في خروجه من ولاية الله سبحانه إلى عداوته، ولا له صفة تنفر..

وقال شبوحنا: لا يجوز على الأنبياء - عليهم السلام - في الخلقة والأخلاق، ما ينفر، كما لا يجوز ذلك في الأفعال.. ولا يجوز في الرسول أن يخرج عن كمال العقل..<sup>(١)</sup>

\*\*\*

هكذا اجتمعت « مقالات الإسلاميين » من مختلف فرق الإسلام الكلامية، ومذاهبهم الفقهية، على عصمة الأنبياء والمرسلين، عقيدة من عقائد الإسلام، الثابتة بالشرع والعقل والإجماع.. وهكذا تحدث عن هذه العقيدة الإيمانية أعلام علماء الأمة - من المشاركة والمغاربة - على امتداد تاريخ الإسلام..

\*\*\*

○ وفي العصر الحديث، وجدنا ذات الموقف عند إمام مدرسة الأحياء والتجديد، الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [ ١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م ] .. الذي فصل في

(١) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل ( ١٥ / ٢٨١، ٢٨٦، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣١٢، ٣٨٧ )، تحقيق: محمود الحصري، د. محمود قاسم، مراجعة: د. إبراهيم بيومي مذكور، إشراف: د. طه حسين، طبعة القاهرة، سنة ( ١٣٨٥ هـ )..

هذه القضية - قضية عصمة الأنبياء والمرسلين - فقال:

« إن من لوازم الإيمان الإسلامي: وجوب الاعتقاد بعلو فطرة الأنبياء والمرسلين، وصحة عقولهم، وصدقهم في أقوالهم، وأمانتهم في تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه، وعصمتهم من كل ما يشوّه المسيرة البشرية، وسلامة أبدانهم مما تنبئ عنه الأبصار وتنفّر عنه الأدواق السليمة، وأنهم منزّهون عما يضاد شيئاً من هذه الصفات المتقدمة..

وأن أرواحهم ممدودة من الجلال الإلهي بما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليها سطوة روحانية.. إن لنفوسهم من نقاء الجوهر، بأصل الفطرة، ما نستعد به من محض القبض الإلهي، لأن نتصل بالأفق الأعلى، وننتهي من الإنسانية إلى الذروة العليا، وتشهد من أمر الله شهود العيان ما لم يصل غيرنا إلى تعقله أو تحسسه بعصا الدليل والبرهان، وتلقى عن المعلم الحكيم ما يعلو وضوحاً على ما يتلقاه أحدنا من أساتذة التعاليم. ثم تصدر عن ذلك العلم إلى تعليم ما علمت، ودعوة الناس إلى ما حُملت على إبلاغه إليهم..

فهؤلاء الأنبياء والمرسلون من الأمم بمنزلة العقول من الأشخاص.. يعلمون الناس من أنباء الغيب ما أذن الله لعباده في العلم به، مما لو صعب على العقل اكتنازه لم يشق عليه الاعتراف بوجوده.. يميزهم الله بالفطر السليمة، ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يطيقون للاستشراق بأنوار علمه، والأمانة على مكنون سره، مما لو انكشف لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه أو ذهبت بعقله

جلالته وعظمته، فيشرفون على الغيب بإذنه، ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه، ويكثرون في مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين، نهاية المشاهد وبداية الغائب، فهم في الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها، وهم وفد الآخرة في لباس من ليس من سكانها..

ثم يتلقون من أمره أن يحدثوا عن جلاله بما خفي عن العقول من شؤون حضرته الرفيعة بما يشاء أن يعتقده العباد فيه، وما قدر أن يكون له مدخل في سعادتهم الأخروية، وأن يبينوا للناس من أحوال الآخرة ما لا بد لهم من علمه، معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم، ولا يبعد عن تناول أفهامهم، وأن يبلغوا عنه شرائع عامة، تحدد لهم سيرهم في تقويم نفوسهم، وكبح شهواتهم، وتعلمهم من الأعمال ما هو مناط سعادتهم وشقائهم في ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله. اللاحق علمه بأعماق ضمائرهم في إجماله، ويدخل في ذلك جميع الأحكام المتعلقة بكليات الأعمال، ظاهرة وباطنة..

ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات، حتى تقوم لهم الحجة، ويتم الإقناع بصدق الرسالة، فيكونون بذلك رسلاً من لدنه إلى خلقه مبشرين ومنذرين..<sup>(١)</sup>

هكذا تحدث حكيم التجديد الديني - في العصر

(١) الأعمال الكاملة لمحمد عبده (٣ / ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٦، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٢١)؛ دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة بيروت، سنة (١٩٧٢م)، وطبعة دار الشروق، القاهرة، سنة (٢٠٠٦م).



الحديث - بهذه القطعة من الحكمة الإسلامية العميقة والرفيعة عن عصمة الأنبياء والمرسلين، وعن مكانتهم في هذا الوجود: عقول الإنسانية.. نهاية الشاهد وبداية الغائب.. الناظرون بأنوار العلم الإلهي.. وفد الدنيا إلى الآخرة، ووفد الآخرة إلى الدنيا.. المشرفون على الغيب بإذن الله.. إلى آخر ما في هذه القطعة من الحكمة الإسلامية العالية..



وعلى هذا الدرب - في العصر الحديث أيضًا - سار الإمام محمد رشيد رضا [ ١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ / ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م ].. الذي اعتبر العصمة للأنبياء والمرسلين من مقتضيات الحكمة الإلهية - فقال:

" .. وإذا كان إرسال الأنبياء إلى البشر لأجل هدايتهم إلى تزكية أنفسهم بما تصلح به أحوالهم في دنياهم، ويستعدون به لحياة أعلى من هذه الحياة الدنيا في نشأة أخرى، فلا يتم هذا الغرض ولا تتحقق هذه الحكمة إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء أهلًا لأن يُقتدى بهم في أعمالهم وسيرتهم، والنزام الشرائع والأداب التي يبلغونها من ربهم، ومن ثم قال علماؤنا بوجوب عصمة الأنبياء من المعاصي والردائل. وبالغ بعضهم حتى قالوا بعصمتهم من الذنوب الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها، وخص بعضهم العصمة من الصغائر بما كان باعثه الخسة والدناءة..

واليهود لا يقولون بهذه العصمة.. والنصارى يجعلون

معاصي الأنبياء دليلاً على عقيدتهم، وهي أن المسيح هو المعصوم وحده؛ لأنه رب والهِ. وهذه العقيدة وثنية مخالفة لدين الأنبياء وكتبهم وللعقل، ومطابقة للأديان الوثنية الهندية وغيرها..

ولقد جاء القرآن فقص علينا خبر أنبياء الله ورسله، وأنهم كانوا من الصالحين الذين يُقتدى بهم في البر والتقوى، كقولهِ في سورة الأنبياء: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُهْدُونَكَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفَتُهُ ﴾ [الأنعام: ٩٠]..

فالعصمة للأنبياء من معصية الله بمخالفة وحيه إليهم، إذ لو عصوه لكان أتباعهم مأمورين من الله بالمعصية؛ لأنه أمرهم باتباعهم، وقال في نبينا ﷺ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَفَكَرَّ اللَّهُ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]..<sup>(١)</sup>

\*\*\*

هكذا أجمعت الأمة - على اختلاف فرقها ومذاهبها.. وعلى امتداد تاريخها - على أن العصمة للأنبياء والمرسلين هي عقيدة إيمانية، تقتضيها الحكمة الإلهية، المتزمنة

(١) رشيد رضا: الوحي المحمدي (ج ٥، ٤٥)، طبعة مكتبة الوفاء، ودار المنار، القاهرة، سنة (١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م).



عن البعث، ويتوقف عليها قبول بلاغهم عن الله ﷻ ..  
كما اتفقت الأمة على أن هذه العقيدة « قد ثبتت بالشرع  
والعقل والإجماع » .. بل لقد رأينا المعتزلة - فرسان  
العقلانية الإسلامية - هم أيضًا فرسان الانتصار لعصمة  
الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - ..

ولقد وجدنا تفصيل ذلك كله فيما سنناه من « مقالات  
الإسلاميين » في هذا المقام ..

وهكذا شد الدكتور الجابري عن إجماع الأمة، وسقط  
في الخطيئة، عندما زعم أن العصمة ليست سوى « فكرة  
مذهبية مسبقة » اكتسبت طابعًا سياسيًا ومذهبيًا في الفكر  
الإسلامي .. ولقد قاده هذه الخطيئة وهذا السقوط إلى هذه  
الصورة الزائفة والبياسة التي صوّر بها رسول الله ﷺ فشد  
بذلك حتى عن المنصفين من غير المسلمين، الذين جعلوا  
إمام أولى العزم من الرسل، إمام المصلحين، الذين جسدوا  
رسالتهم السامية في أرض الواقع والممارسة والتطبيق<sup>(١)</sup> ..



(١) من الذين سبقوا الجابري إلى الشذوذ في هذا الموقف: محمد سعيد  
العمشوري، الذي زعم أن القول بالعصمة من الأفكار النصرانية التي  
دخلت إلى الإسلام - انظر كتابه: الإسلام السياسي (ج ٨٦)، القاهرة،  
سنة (١٩٨٩م) .. وكتابه: أصول الشريعة (ج ١٤٣)، طبعة القاهرة، سنة  
(١٩٧٩م).

## ( ٢ )

أما الخطيئة الثانية: للدكتور الجابري - سامحه الله - فهي الصورة الزائفة والشاذة والمثينة التي رسمها الرسول الله ﷺ وللسابقين الأولين من المهاجرين - عقب الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة - ..

○ لقد كذب الجابري عندما صور بيعة العنبة - بين الأنصار والرسول ﷺ - .. وصحيفة المدينة - التي مثلت دستور الدولة الإسلامية الأولى - على أنها:

- « عقد حربي » تحول به الإسلام إلى دين حربي !

- وأوغل الجابري في الكذب، عندما ادعى أن رسول الله ﷺ والمهاجرين من الصحابة قد بدأوا حياتهم بالمدينة المنورة « بقطع طرق التجارة » على قريش .. وذلك لإجبار قريش على الدخول في الإسلام! ..

- وادعى - سامحه الله - أن الطمع في الغنيمة قد صار جزءاً أساسياً في الكيان الإسلامي منذ تأسيس هذا الكيان بالمدينة المنورة..

نعم! كذب الجابري كل هذا الكم من الكذب الغريب والعجيب، الذي لم يسبقه إليه حتى الكثيرون من أعداء الإسلام! (١).

(١) اللهم - في حدود علمي - إلا محمد سعيد العشماوي، لفظ كتاباً

ولأن هذا « الكذب - الجابري » قد استقر في كتابه -  
موضوع هذه الدراسة - وله ناشر، وله قراء - فإننا - قيامًا  
بواجب جلاء الحقيقة.. حقيقة الهجرة النبوية.. والعقد  
الاجتماعي الذي قامت عليه الأمة والدولة بالمدينة.. وحقيقة  
الغزوات والسرايا التي قام بها المسلمون المهاجرون في  
المرحلة الأولى للهجرة.. - قيامًا بواجب جلاء حقيقة هذا  
التاريخ النبوي.. نناقش - بموضوعية كاملة.. ومن خلال  
أوثق المصادر التاريخية - هذه الدعاوى التي سطرها قلم  
الجابري - سامحه الله - ..

○ لقد قال الجابري:

« إن » العقد الاجتماعي « الذي تأسس عليه كيان الدعوة  
المحمدية في المدينة هو » عقد حربي « .. وإن الهجرة إنما كانت  
من أجل تنظيم الحرب ضد مشركي قريش<sup>(١)</sup>..  
فهل هذا صحيح؟! ..

- إن هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة إنما كانت  
« إخراجًا » لهم من ديارهم، ولم تكن « خروجًا » بهدف  
محتاربة قريش؛ ففريش هي التي فتنت المسلمين في دينهم -  
والفتنة أشد من القتل وأكبر - وهي التي حاصرت دعوتهم،

= ينقوطة الغلو العلماني ( ص ١٨، ١٩ )، طبعة دار الشروق، القاهرة، سنة  
١٤٣٢هـ / ٢٠١٢م.

(١) فهم القرآن، القسم الثالث ( ص ١٤ ) .

واستغفرتهم من أرضهم فأخرجتهم منها.. وكل آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن الهجرة - والتي جاء الجابري ليفسرهما - استخدمت جميعها مصطلح « الإخراج » من الديار، وليس مصطلح « الخروج »:

﴿ وَكَانَ مِنْ قَرَبِهِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْنِكَ الَّتِي أَخْرَجَكَ ﴾

[محمد: ١٣].

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾

[الأنفال: ٣٠].

﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

[التوبة: ٤٠].

﴿ يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِنَّا لَهُمْ نَزِيرٌ ﴾ [المستحقة: ١].

﴿ فَأَلَّذِينَ هَاجَرُوا وَآخَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْتَ بِقَوْلِكَ رَبُّنَا اللَّهُ ﴾

[الحج: ٤٠].

﴿ لِلْفَقْرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾

[الحشر: ٨].

﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الْبَرِّ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾

[المستحقة: ٩].

- وفي اللحظة التي كان رسول الله ﷺ يغادر فيها مكة،

ناجاها - والأسى على فراقها يقطر من كلماته - فقال:

« واللَّهُ إِنَّكَ لأحب بلاد اللَّهِ إلى اللَّهِ، وأحب البلاد إلى نفسي، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت ! »  
وهكذا لم تكن الهجرة - من مكة إلى المدينة -  
« خروجًا » لقتال قريش، وإنما كانت « إخراجًا » وتهجيرًا  
من الديار ومن الوطن الحبيب - بل أحب البلاد - !..  
وإخراجًا - كذلك - من الأهل والمال والذكريات الممثلة  
لديوان الحياة ومعناها ..

والقرآن الكريم يجعل من الوطن حياة.. ويسوي بين  
القتل وبين الإخراج من الديار.. ﴿ وَلَوْ أَنَّا كُنَّا عَلَيْهِمْ أَن  
أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾  
[ النساء: ٦٦ ].

- أما العقد الاجتماعي، الذي تأسس عليه كيان الدعوة  
المحمدية بالمدينة.. والذي زعم الجابري أنه « عقد حربي »  
لتنظيم الحرب ضد قريش، فإن وثائقه - في بيعة العقبة..  
وفي دستور دولة المدينة - تقطع بأنه كان عقدًا اجتماعيًا  
وسياسيًا لحماية الرسول والمؤمنين في المدينة، أي « للدفاع »  
عنهم وليس « عقدًا حربيًا » لغزو قريش ومحاربتها..

لقد بايع الأنصار رسول الله ﷺ في العقبة [ ١ ق.هـ /  
٦٢١ م ] « على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم

وأبناءهم، وأن يرحل إليهم هو وأصحابه<sup>(١)</sup>.

فاليبعة والتعاقد - في العقبة - على حمايته عليه السلام وأصحابه في المدينة، وليست على إقامة « كيان حربي » لمحاربة القرشيين..

وكذلك كان الحال في الوثيقة التي مثلت دستور الدولة الإسلامية الأولى - بالمدينة المنورة - والتي نظمت الحقوق والواجبات بين رعية هذه الدولة - والتي اشتهرت في نرات الإسلام بـ « الصحيفة » و « الكتاب » - .. فلقد جاء في هذا الدستور النص على « الدفاع عن المدينة »، وليس الانطلاق منها « للهجوم » .. وبالنص:

« .. وأن بينهم - [ سكان المدينة ] - النصير على من هجم يثرب .. فهم يتناصرون ضد من يهاجم ويدهم مدينتهم .. »  
كما نصت هذه الوثيقة على تضامن المسلمين واليهود - في المدينة - في « الدفاع » وليس في « الهجوم » .. وبالنص:  
« .. وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم. وأن بينهم النصير على من حارب أهل هذه الصحيفة .. »<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن عبد البر: الدور في اختصار المغازي والسير (ص ٧٤)، تحقيق د. شوقي شبيب، طبعة القاهرة، سنة (١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م).  
(٢) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (ص ١٥ - ٢١)، تحقيق: د. محمد حميد الله الحيدر آبادي، طبعة القاهرة، سنة (١٩٥٦ م).

تلك هي حقيقة الطابع السلمي والدفاعي لتعاقد بيعة العقبة.. وللدستور دولة المدينة، الذي تأسس عليه الكيان الإسلامي في المدينة المنورة.. والذي لم تُشبهه شائبة من دعاوي الجابري: أنه كان « عقدًا حربيًا من أجل تنظيم الحرب ضد قريش »..

❶ ولقد مضى الجابري - سامحه الله - في افتراءه على رسول الله ﷺ وعلى المهاجرين من صحابته، فزعم أنهم قد بدأوا حياتهم بالمدينة بشن سبع سرايا وغزوات لقطع طرق التجارة على قريش وغيرها من القبائل!... وينص عباراته:

« فهذه سبع سرايا وغزوات نظمها الرسول ﷺ في مدى ثلاثة عشر شهرًا من مقدمه مهاجرًا إلى المدينة، وكانت جميعها بهدف اعتراض القوافل التجارية القرشية<sup>(١)</sup>.. فلقد أخذ النبي ﷺ في مهاجمة قوافل قريش التجارية التي كانت تذهب إلى الشام<sup>(٢)</sup>.. ولم يكن اعتراض النبي لقوافل قريش التجارية بدافع الحصول على غنائم، وإنما كان ذلك من أجل حمل قريش على الرضوخ والدخول في الإسلام.. لقد كان ﷺ صاحب رسالة.. غير أن طبيعة الحياة البشرية تقتضي أنه لا بد للنجاح من وسائل، وأولى هذه الوسائل التي يتطلبها تجهيز السرايا والجيوش هي المال، لقد كان لا بد إذن من أن تدخل « الغنيمة » كجزء أساسي في الكيان المادي لجماعة

(١) فهم القرآن، القسم الثالث (ص ١٤).

(٢) في التعريف بالقرآن (ص ٢٠٣).



المسلمين<sup>(١)</sup> .. وهكذا صارت الغنيمة حاضرة في غزوات النبي ﷺ وسراياه<sup>(٢)</sup> .. وفي السنة الخامسة قاد النبي غزوة دومة الجندل .. على نحو ( ٥٠٠ ) ميل شمال المدينة .. وهكذا لم يعد المسلمون يقطعون الطريق على تجار قريش وحسب .. بل إنهم أصبحوا قادرين على التوغل شمالاً للسيطرة على الطرق الأخرى<sup>(٣)</sup> !!

هكذا صور الجابري رسول الله ﷺ والذين هاجروا معه « قطاع طرق » ليس على قريش وحدها، وإنما على غيرها من القبائل ذات المواقع البعيدة عن المدينة، وادعى أن « الغنيمة قد دخلت كجزء أساسي في الكيان المادي لجماعة المسلمين .. وأنها صارت حاضرة في غزوات النبي وسراياه »<sup>(٤)</sup> فهل هذا صحيح ؟

وهل هذه هي الصورة الحقيقية للرسول والذين هاجروا معه<sup>(٥)</sup> ؟

وهل كانت تلك هي الأغراض والمقاصد من السرايا والغزوات في المرحلة الأولى للهجرة ؟

○ إن الجابري - سامحه الله - قد تجاهل تماماً أن قريشاً قد استولت على تجارات المسلمين وعقاراتهم

(١) فهم القرآن، القسم الثالث ( ص ١٩ ، ٢٠ ) .

(٢) المراجع السابق، القسم الثالث ( ص ٢١ ) .

(٣) المراجع السابق، القسم الثالث ( ص ٢٤ ، ٣٨٢ ) .



وأموالهم.. استولت على كل ما كان يملكه هؤلاء الذين أخرجوا من ديارهم إلى المدينة المنورة - أي استولت على المال والوطن - .. وأنه لذلك، قد كان لهؤلاء المهاجرين حقوق عند المشركين، تبرر لهم اعتراض القافلة التي فر بها أبو سفيان [٥٧ق.هـ - ٣١هـ / ٥٦٧ - ٦٥٢م] - والتي كانت محاولة اعتراضها سبباً في غزوة بدر [رمضان سنة ٢هـ]..

يتجاهل الجاهلي أن السعي الإسلامي لاعتراض هذه القافلة كان حقاً إسلامياً في «المقاصة» لجزء مما للمسلمين من حقوق مادية - دعك من الحقوق المعنوية المترتبة عن الفتنة في الدين والإخراج من الديار..

لقد كانت هناك «أمانات» لبعض المشركين المكيين اتتمنوا عليها الصادق الأمين ﷺ فعهد لابن عمه علي بن أبي طالب [٢٣ق.هـ - ٤٠هـ / ٦٠٠ - ٦٦١م] - ليلة الهجرة - البقاء بسكة لأداء هذه الأمانات إلى أهلها.. ولم يستول عليها مقابل ما صودر من أموال المسلمين.. لكن بقيت لهؤلاء المسلمين الذين أخرجوا من ديارهم حقوق مادية عند رؤوس الشرك، تقتضي اقتضاءها.. ولذلك كان اعتراض القافلة طلباً لبعض هذه الحقوق.. وليس «قطعاً للطريق»!.. ولا لإجبار قريش على الدخول في الإسلام!

يتجاهل الجاهلي ذلك، ويذهب فيصور السرايا والغزوات الإسلامية على أنها كانت «تقطع طرق التجارة»، سعيًا وراء

الغنيمة، التي قال أنها قد أصبحت جزءاً أساسياً في الكيان الإسلامي لجماعة المسلمين!

وأمام هذا الافتراء - غير المنبوق - نحتكم - في سبر حقيقته - إلى مصدر تاريخي، كتبه رائد التنوير في عصرنا الحديث رفاعة رافع الظهطاوي [ ١٢١٦هـ - ١٢٩٠هـ / ١٨٠١ - ١٨٧٣ م ]، الذي دقق بتاريخ الغزوات الإسلامية، ورصد مقاصدها وملاساتها وأسبابها في كتابه الفذ ( نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الأحجاز ).. ومن خلال هذا المصدر، لهذا الرائد المستنير - الذي لا بد أن يكون موضع الاحترام والمصادقية من الجابري - تقدم الصورة الحقيقية للأسباب الموضوعية لسرايا المسلمين وغزواتهم في المدينة المنورة:

○ إن استعراض مجمل السرايا والغزوات الإسلامية، إنما يعلن عن أنه:

- لم تحدث سرايا ولا غزوات في السنة الأولى للهجرة - على عكس كذب الجابري -.

- وأن ما حدث قبل غزوة بدر [ رمضان سنة ٢هـ / ٦٢٤ م ] إنما كان سرايا لتأمين محيط المدينة المنورة والدفاع عنها.

○ أما أولى الغزوات، فكانت غزوة « الأبواء » - عند قرية « وذان » - سنة [ ٢هـ / ٦٢٣ م ]، وفيها صالح رسول الله ﷺ

مجدي بن عمرو الجهني على ألا يغزوهم ولا يغزونه،  
وَأَلَا يَكْثُرَ عَلَيْهِ جَمْعًا، وَلَا يَعِينَ عَلَيْهِ عَدُوًّا.. وكتب الرسول  
بذلك مع سيد بني ضمرة كتابًا.. أي أنها - غزوة «الأبواء» -  
كانت لتأمين المدينة، ومصالحة سكان الجوار.

○ وفي نفس العام [ ٢هـ / ٦٢٣ م ] كانت الغزوة الثانية،  
غزوة «بواط» في شهر ربيع الآخر - أي بعد أكثر من عام  
على الهجرة - وكانت لاعتراض قافلة قريش، التي كان  
يقودها أمية بن خلف [ ٢هـ / ٦٢٤ م ] - أحد أكابر المجرمين  
المشركين الذين احترقوا تعذيب المسلمين بنمكة - .. ولم  
يحدث في هذه الغزوة لقاء ولا قتال.

○ وفي نفس العام [ ٢هـ / ٦٢٣ م ] كانت الغزوة الثالثة،  
غزوة ذي العشيرة - في شهر جمادى الأولى - وهي التي  
كانت لاعتراض عير قريش وقافلتها التي كانت متجهة إلى  
الشام، بقيادة أبي سفيان، وهي العير التي خرج الرسول ﷺ  
لاعتراضها وهي عائدة من الشام - لاقتضاء بعض  
ما للمسلمين المهاجرين من حقوق معتصة ومصادرة عند  
مشركي قريش - .. فلما أفلتت العير .. خرجت قريش غازية  
للمسلمين، ومعتمدة عليهم في مدينتهم ومهجرتهم، فكانت  
غزوة بدر الكبرى، رمضان سنة [ ٢هـ ] .

○ وفي نفس العام الهجري [ ٢هـ / ٦٢٣ م ] كانت الغزوة  
الرابعة - غزوة «سفوان» (بدر الأولى) - .. وفيها خرج

رسول الله ﷺ إلى كرز بن جابر الفهري، الذي أغار على « نَعَم » المدينة ومواسيها - (سرح المدينة) التي تسرح بالغداة - .. فأفلت كرز، ولم يقع قتال.. فكانت هذه الغزوة دفاعية، لمطاردة الذين أغاروا على سرح المدينة واغتصبوها ونهبوها..

○ وفي رجب سنة [ ٢٢٤هـ / ٦٢٤م ] كانت سرية عبد الله ابن جحش ( ٢٣هـ / ٦٢٥م ) - ومعه ثمانية أنفس - ذهبوا إلى « نخلة » - بين مكة والطائف، على بعد ليلة من مكة - ليعرفوا أخبار قريش: أي أنها كانت سرية لاستطلاع الأخبار عدد أفرادها تسعة - .. وحدث أن مريهم غير لقريش فغنموها، وأسروا اثنين من المشركين، فكانت غنيمتهم هذه أول غنيمة غنمها المسلمون، كجزء من المقابلة لما للمسلمين من حقوق اغتصبها منهم المشركون.

تلك هي حقيقة « المجانيات » التي حدثت منذ الهجرة وحتى بدر الكبرى، في [ ١٧ رمضان سنة ٢هـ / ١٥ مارس ٦٢٤م ]..

○ أما غزوة بدر الكبرى - في [ رمضان سنة ٢هـ ] - فكانت دفاعية.. خرج فيها المسلمون - من المهاجرين والأنصار - للدفاع عن دولتهم ومدينتهم ضد الجيش القرشي الذي زحف من مكة للقضاء على الكيان الإسلامي في المدينة المنورة..

○ وبعد غزوة بدر الكبرى، حدثت غزوة السويق في [ ٥  
 ذي الحجة سنة ٢ هـ / ٢٩ مايو سنة ٦٢٤ م ].. لأن أبا سفيان -  
 انتقاماً مما حدث للمشركين في بدر - تسبّل إلى ما حول  
 المدينة، واتصل بسيد بني النضير - من اليهود - ليؤلب على  
 الرسول ﷺ ودولته وأمنته، وقتل اثنين من الأنصار، وأحرق  
 حرثهما، وذلك وفاء لنذره الانتقام من المسلمين بسبب بدر  
 الكبرى.. فكانت غزوة السويق دفاعية، ومطاردة لعدوان  
 أبي سفيان على حرم المدينة وجوارها، وقتل اثنين من  
 الأنصار، وإحراقه لحرثهما ولم يقع فيها قتال..

○ وفي أواخر ذي الحجة سنة [ ٢ هـ ] وأوائل محرم سنة  
 [ ٣ هـ / ٦٢٤ م ] كانت غزوة بني سليم، التي خرج فيها رسول  
 الله ﷺ قاصداً بني سليم وغطفان، الذين تجمعوا - بين العراق  
 ومكة - لمهاجمة المدينة المنورة.. فلم يجدهم الرسول ﷺ بذلك  
 المكان فعاد بدون قتال.. أي أنها كانت دفاعية، لإجهاض  
 تجمع بني سليم وغطفان للعدوان على المدينة المنورة.. -  
 ولم تكن لقطع طرق التجارة.. كما كذب المجابري -..

○ وفي [ جمادى الأولى سنة ٣ هـ / أكتوبر سنة ٦٢٤ م ]  
 كانت غزوة بجران ( بني سليم ).. عندما بلغ الرسول ﷺ  
 أن بني سليم قد اجتمعوا ثانية لمعاودة غزو المدينة.. فلما  
 خرج لإجهاض هذه المحاولة، وجدهم قد تفرقوا، فعاد إلى  
 المدينة دون قتال..

○ وفي [ ٧ شوال سنة ٣هـ / ٢٣ مارس سنة ٦٢٥ م ] كانت غزوة أحد، التي كانت دفاعية، ضد مشركي قريش، الذين راحوا من مكة إلى المدينة لتدمير الكيان الإسلامي والأمة الإسلامية فيها..

○ وفي [ ١٦ شوال سنة ٣هـ / أبريل سنة ٦٢٥ م ] كانت غزوة حمراء الأسد، التي خرج المسلمون فيها إلى هذا المكان، وهم متخفون بجراح أحد، إعلاناً عن صلابته إرادتهم وعزيمتهم، وذلك تخويفاً لعدوهم، الذي التمس بانتصاره في أحد.. فكانت هذه « الغزوة » مظهرة لمنع تكرار العدوان المشرك على المدينة المنورة..

○ وفي [ شوال سنة ٤هـ / مارس سنة ٦٢٦ م ] كانت غزوة « بدر الموعد » التي خرج فيها الرسول ﷺ والمسلمون استعداداً لصد عدوان قريش، التي نذر قائدها أبو سفيان إعادة الإغارة على المدينة، عندما قال عقب أحد: « الموعد بيننا وبينكم بدر العام المقبل » - ولذلك سميت « بدر الموعد » -.. ولقد انسحبت قريش - بعد أن خرجت من مكة؛ لعدم ملائمة الوقت للحرب، فرجع الرسول ﷺ إلى المدينة دون قتال.

○ و ( لخمس بقين من ربيع الأول سنة ٥هـ / أغسطس ٦٢٦ م ] كانت غزوة دومة الجندل، بعد شهرين وأربعة أيام من غزوة ذات الرقاع - وهي أول غزوات المسلمين في

الشام - وكان سببها اجتماع جمع من الأعراب - الذين يعيشون تحت حكم الروم البيزنطيين - يظلمون من شر بهم، ولقد عزم هذا التجمع على غزو المدينة المنورة.. فكان خروج المسلمين إلى دومة الجندل إرهاباً لقطع الطرق هؤلاء، وإجهاضاً لغزيمهم على غزو المدينة المنورة.. فلما سمعوا بخروج الرسول ﷺ والمسلمين إليهم، هربوا ولم يحدث فيها قتال..

○ وفي [جمادى الأولى سنة ٥هـ / أكتوبر سنة ٦٢٦ م] كانت غزوة بني نحيان.. طلباً للثأر من هذيل، الذين قتلوا أصحاب رسول الله ﷺ بالرجيع.. فلما وجد المسلمون أن بني نحيان قد فروا، وتحصنوا بحصونهم، عاد المسلمون إلى المدينة دون قتال..

○ وفي [شوال أو ذي القعدة سنة ٥هـ / إبريل سنة ٦٢٧ م] كانت غزوة الخندق، التي كانت دفاعية، ضد الزحف الذي انتظم قريشاً وحلفاءها.. عندما حاصروا المدينة وأحكموا حولها الخنادق..

○ وفي سنة [٦هـ / ٦٢٧ م] كانت غزوة ذي قرد - على ميلين من المدينة، على طريق خيبر -.. وكانت ردّاً على إغارة عيينة بن حصن - في خيل من غطفان وفزارة - على



لقاح<sup>(١)</sup> رسول الله ﷺ بالغاية، قُتل خير.. أي أنها كانت مطاردة للمغيرين المغتصبين..

○ وفي سنة [ ٦٢٧ هـ / ٦٢٧ م ] كانت غزوة بني المصطلق.. وسببها أن الحارث بن ضرار - سيد بني المصطلق - جمع من قومه ومن العرب من قدر عليه لمحاربة الرسول ﷺ.. فخرج إليهم الرسول لإجهاض غزوتهم وغدرهم وعدوانهم.. فحاربهم دفاعاً عن المدينة وأهلها..

○ وفي [ جمادى الأولى سنة ٦٢٩ هـ / ٦٢٩ م ] كانت غزوة مؤتة - بالشام - وهي أولى الغزوات الإسلامية ضد الروم البيزنطيين، الذين احتلوا الشام والشرق وقهروا عشرة قرون.. ولقد كان سببها المباشر قتل الرسول لرسول الروم ﷺ الحارث بن عمير [ ٦٢٩ هـ / ٦٢٩ م ] الذي أرسله الرسول برسالته إلى ملك بصرى.

○ وفي [ ١٠ رمضان سنة ٦٢٨ هـ / أول يناير سنة ٦٣٠ م ] كان فتح مكة، بعدما نقضت قريش عهدها الذي أبرمته مع الرسول ﷺ والمسلمين في الحديبية سنة [ ٦٢٨ هـ / ٦٢٨ م ]. ولقد مثل هذا الفتح عودة الذين أخرجوا من ديارهم مكة إلى هذه الديار..

○ وفي [ ٦ شوال سنة ٦٢٨ هـ / يناير سنة ٦٣٠ م ] كانت

(١) اللقاح - جمع لقحة - : الناقة ذات اللبن، القرية من الولادة.

غزوة حنين - بالقرب من الطائف - وذلك لمواجهة اجتماع هوازن التي انضمت إليها ثقيف، وبنو سعد بن بكر، وبنو جشم بخيولهم وأموالهم لمحاربة المسلمين بعد فتح مكة..

○ وفي سنة [ ٩هـ / ٦٣٠ م ] كانت غزوة تبوك - بالشام - ضد الروم - وهي آخر الغزوات - ولم يقع فيها قتال.. وإنما كانت إعلاناً نبوياً عن ضرورة تحرير الشرق وأهله وديانته من قهر الغزوة الإغريقية الرومانية التي دامت عشرة قرون، قهر فيها الغرب الشرق حضارياً ودينياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً.. وفي هذه الغزوة صالح الرسول ﷺ أهل أيلة.. وأهل جزياء.. وأهل أذرح.. وأهل ميناء..

○ أما غزوات الرسول ﷺ - ضد اليهود - بني قينقاع [ منتصف شوال سنة ٢هـ / أبريل سنة ٦٢٤ م ] فكانت ردّاً على نقضهم العهد مع الرسول ودولة المدينة.. وكذلك ضد يهود بني النضير سنة [ ٤هـ / ٦٢٥ م ] لنقضهم العهد، ومحاولتهم قتل الرسول ﷺ.. وضد يهود بني قريظة في [ ذي الحجة سنة ٥هـ / ٦٢٧ م ] لخيانتهم العهد وتحالفهم مع المشركين الذين حاصروا المدينة في غزوة الخندق.. وضد يهود خيبر [ أواخر محرم سنة ٧هـ / أواخر مايو سنة ٦٢٨ م ] للقضاء على خيانتهم العهد، وتحالفهم مع الشرك الوثني، وتأييدهم المشركين لمحاربة الرسول، وتمويلهم

هذه الحروب.. وإعلانهم لغريش « إنا سنكون معكم حتي نستأصله »!..

تلك هي حقيقة الأسباب والملايسات التي صاحبت هذه الغزوات التي فُرِضت على المسلمين فرضاً<sup>(١)</sup>.. والتي مثلت الصراع بين الشرك الوثني - المتحالف مع التآمر والتمويل اليهودي - على امتداد حياة الرسول ﷺ بالمدينة المنورة..

وهي الغزوات والسرايا التي ثبتت بالوقائع التاريخية الدامغة أن الموقف الإسلامي فيها كان موقف الدفاع دائماً وأبداً.. أو الردع الذي يمنع العدوان والقتال.. ومع عدد الغزوات والسرايا.. ومع ما كتب عنها وفيها.. فإن جميع ضحاياها لم يتجاوز عددهم ( ٣٨٦ ضحية ) - ( ١٨٣ ) هم شهداء المسلمين .. و ( ٢٠٣ ) هم قتلى المشركين<sup>(٢)</sup>..

○ ومع هذه الحقائق الصلبة والعنيدة.. وبالرغم منها كذب الجابري.. وافتري على رسول الله ﷺ وعلى السابقين الأولين من

(١) (رعاية واقع الظهطاوي: نهاية الإيجاز في سيرة سابقين الحجاز، الجزء الرابع من (أعماله الكاملة)، (من ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٨، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩٣، ٣١٤، ٣٣١، ٣٥١، ٣٦١، ٣٦٢) دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة بيروت، سنة (١٩٧٧ م).

(٢) (ابن عبد البر: الدور في اختصار المغازي والسير، والنظر كتابنا: الفاتيكان والإسلام (ص ٧٧)، طبعة القاهرة، سنة (٢٠١٧ م)، والإسلام، والأخير (ص ٦٥)، طبعة القاهرة، سنة (٢٠٠١ م).

المهاجرين والأنصار، عندهما زعم أنهم قد مارسوا صناعة « قطاع الطرق » - بعد الهجرة - « لحمل قريش على الرضوخ والدخول في الإسلام.. وطلباً للغنيمة، التي دخلت - بزعمه وكذبه - كجزء أساسي في الكيان المادي لجماعة المسلمين »!!

\*\*\*

وإذا كنا قد تعمدنا أن يكون استعراض حقيقة الغزوات والسرايا الإسلامية من خلال كتاب رائد التنوير رفاعة الطهطاوي ( نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز ) نورد بالتنوير الحق على « التنوير الزائف والخبيث ».. فإننا نرد على فرية « دخول الغنيمة كجزء أساسي في الكيان الإسلامي لجماعة المسلمين ». التي افتراها الجابري - نرد عليها من خلال تراث العقلانية الإسلامية - تراث المعتزلة - الذين ناقش فيلسوفهم القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني هذه الفرية - في كتابه الفد ( تثبيت دلائل النبوة ) - فقال:

« فإن قيل: أوليس - [ الرسول ] - قد أباحهم - [ المسلمين ] - الغنائم، فما تنكرون أن تكون إجابتهم له لهذه العلة؟»

قيل له: هذا لا يسأل عنه من يعقل ولا من يفكر؛ لأن القوم قد اعتقدوا صدقه وتبوته، فكانت إجابتهم له لهذا وعلى هذا، القريب إلى الله عن رضا بذلك، فمن ادعى غير هذا فقد أنكر المعلوم، أو يكون لم يسمع الأخبار، فهم إنما أجابوه على أن ينفقوا أموالهم

ويسفكوا دماءهم ويقتلوا آباءهم وأبناءهم في طاعته ولأجله.  
فكيف يسوغ لعاقل فكر وتدبر أن يقول إنما أجابوه طلباً للدنيا  
ورغبة في الراحة والدعة. والأمر بالضد من ذلك.

وبعد، فإن لم يكن تبعوه إلا للغارة والغنائم لكانوا يقولون  
له: ما حاجتنا إليك في الغارة والغنائم. ونحن أعلم بها منك.  
وهي صناعتنا نحن وعادتنا. ومن أخذنا بأن لكفر آباءنا ونشهد  
بضلالهم ونسحق أحلامهم، ونسوي اختيارهم. ونعادي الأمم  
وجبايرة الملوك، ونسفك دماءنا في طاعتك، ونقتل كل من  
عاداك وخالفك. وإن كانوا آباءنا وأبناءنا أو إخواننا، ونمارق  
أوطاننا وأزواجنا، ونهجر اللذات. ثم لا نحصل إلا على شيء  
إذا اغتتمناه بقوتنا وغلبنا عليه بأسياقتنا بعد المخاطرة بدمائنا أن  
نسلمه إليك فتعطينا بعضه؟!...

وهذا لا يختاره بلُّ النساء، فكيف بالمهاجرين والأنصار،  
الذين أجابوه فصار بهم في عزّة ومنعة، وصبروا على تلك الشرائط  
التي اشتراطها - [ في بيعة العقبة ] - ...

ولولا أن هذا - [ الادعاء بالغنيمة ] - قد كان في أهل الذمة  
وطبقات الزنادقة، وتمدوا به إلى قوم زعموا أنهم من المسلمين،  
لما ذكرناهم لكته شيء يستزلون به المسلمين الذين لا ينظرون  
فيما هذا سبيله، ويغترون بالظاهر...<sup>(١)</sup>

(١) القاضى عبد الجبار: تثبت دلائل النبوة (١/١٢، ١١) تحقيق: د. عبد الكريم  
عثمان، طبعة الدار العربية، بيروت، سنة (١٩٦٦ م).

هكذا رد القاضي عبد الجبار - فيلسوف المعتزلة والعقلانية الإسلامية - على مقولات « أهل الذمة وطبقات الرنداقية » التي جاء الجابري فتبناها في القرن الواحد والعشرين.. وهكذا حكم القاضي عبد الجبار على أصحاب هذه المقولات بأنهم « لا يعقلون ولا يفكرون ولا يتدبرون »!!..

○ وفوق كل هذا الذي سقناه في تنفيذ افتراءات الجابري على رسول الإسلام ﷺ وعلى صحابته من المهاجرين الأولين، أن هجرتهم إنما كانت مشروعا حرييا لقطع طرق التجارة، وللمقاتل لإجبار قريش على الدخول في الإسلام.. تشير إلى أن الجابري - الذي سعى إلى تفسير القرآن الكريم - قد تجاهل أن القرآن - ومن ثم الإسلام - قد نفرد - دون الكثير من الفلسفات والأنساق الفكرية - بتقريره أن القتال ليس غريزة وجبالة في الإنسان، وإنما هو ضرورة مفروضة ومكروهة..

لقد فرض القرآن الكريم الكثير من الفرائض والواجبات، التي يتعبد بها المؤمن خالفه، وحجب إلى المؤمنين القيام بهذه الفرائض والواجبات، وأشار إلى ثمراتها في سعادة الإنسان بالمعاش والمعاد.. لكنه عندما تحدث عن القتال - كضرورة لرد العدوان على الدين والوطن - أنبأنا كيف أن هذا القتال كان مكروها من جماعة المؤمنين: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦] - .. كما أعلن عن أن الله ﷻ إنما « أذن » للمسلمين في هذا القتال - الضرورة



القتال - الضرورة المفروضة المكروهة - لصد المكروه الأكبر والمحظور الأشد والأخطر: الفتنة في الدين، التي هي أشد من القتل. والإخراج من الديار، الذي يعادل القتل والإفناء: ﴿أُذِّنْ لِلَّذِينَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ ظَاهِرُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقْدِيرٌ ۖ﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴿[الحج: ٣٩، ٤٠].

لقد تجاهل الجاهلي هذه الفلسفة القرآنية المستفردة في النظر إلى «القتال» باعتباره «ضرورة»، مفروضة، مكروهة. وتجاهل كذلك التطبيق النبوي لهذه الفلسفة القرآنية. فرسول الإسلام ﷺ الذي اتهمه الجاهلي - مع صحابته - بأنهم إنما هاجروا ليقطعوا الطرق على قريش وغيرها من القبائل، وذلك سعيًا وراء الغنيمة ونفرض الإسلام على المشركين (١). رسول الإسلام ﷺ هذا، هو القاتل لأصحابه: «لا تمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاقبضوا، وأكثروا ذكر الله» (٢).

كما تجاهل الجاهلي أن هؤلاء الصحابة - انطلاقًا من هذه الفلسفة القرآنية المستفردة في النظر إلى القتال، ومن التوجيهات النبوية التي تبين وتطبق هذه الفلسفة القرآنية - كانوا يكرهون هذا القتال، ولا يودونه، ويعملون على تجنبه. وأنهم عندما هاجروا إلى المدينة، وقاموا بمحاولة



اعتراض القافلة التجارية القرشية، إنما كانوا يريدون ويودون « العير » للحصول على بعض حقوقهم التي صادرها ونهبها المشركون.. وكانوا - في ذات الوقت - كارهين « للنفير » والقتال للمشركين..

ولقد تحدث القرآن الكريم - الذي سعى الجابري إلى تفسيره - عن هذا الموقف - موقف الصحابة - من القتال فقال: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَوَدُّوا أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ١٧].. أي أن الصحابة - الذين اتهمهم الجابري بأن هجرتهم إنما كانت مشروعة حربيًا للقتال - إنما كانوا يودون « العير » التي يحصلون بها على بعض حقوقهم، ويكرهون « النفير » والقتال الذي فرضه عليهم المشركون عندما زحفوا من مكة إلى المدينة، فدارت المعركة الكبرى عند بدر في رمضان سنة ٢ هـ..

لقد تجاهل الجابري - عفا الله عنه - هذه الفلسفة القرآنية المتفردة إزاء القتال.. والبيان النبوي لهذه الفلسفة القرآنية.. وموقف الصحابة الكاره للقتال.. كما تجاهل وقائع أسباب الغزوات والسرايا - التي سقناها - والتي تشهد على كذب كل المفتريين الذين صوروا الهجرة النبوية والدولة الإسلامية بأنها إنما كانت مشروعة حربيًا للغزو والقتال.

( ٣ )

أما الخطيئة الثالثة: فهي قمة الخطايا.. وذروة السقوط الذي انحدر الجابري إلى مستنقع الأسن.. فكان تشكيكه في الحفظ الإلهي للقرآن الكريم من النقص والزيادة والتغيير والمحو والتبديل..

- لقد ادعى الرجل أن المصحف الإمام - مصحف عثمان، الذي بيد المسلمين - ليس فيه كامل القرآن الذي أوحاه الله ﷻ إلى رسوله ﷺ.. وأن تدوين هذا المصحف الإمام قد حدثت به:

١ - أخطاء..

٢ - ونسيان..

٣ - وتبديل..

٤ - وحذف..

٥ - ونسخ..

- وادعى - كذلك - ما تجاوز به قمة العبث والكذب اللامعقول، فقال: إن جميع علماء الإسلام يعترفون بذلك!!..



وإذا كان الجابري - سامحه الله - قد ردد - في القرن الواحد والعشرين - ما سبق وادعاه « من لا يعقلون ولا يشكرون ولا يتدبرون من أهل الذمة وطبقات الزنادقة » بتعبير

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ  
الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١١﴾  
وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ حَقًّا وَعَدْلًا لَا مَبْدُولَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٢﴾  
[ الأنعام : ١١٢ ، ١١٣ ] .

كما تعهد ﷺ بعصمة رسوله ﷺ من أن ينسى شيئا منها  
أوحى إليه من القرآن الكريم، فقال:

﴿ سَعَى رَبِّيْكَ فَلَا تَسَى ﴿٦﴾ إِلَّا مَا سَأَلَ اللهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾  
وَيُتِيرُكَ لِلنَّاسِ ﴾ [ الأعلى : ٦ - ٨ ] ..

ولأن الله ﷻ قد شاء أن ينزل القرآن - المجموع في  
اللوح المحفوظ - منجما ومفرقا، وذلك لاستدامة التثبيت  
لقواد رسوله ﷺ في الصراع مع الشرك والمشركين والكفر  
والكافرين والنفاق والمنافقين: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ  
عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾  
[ الفرقان : ٣٢ ] .. فلقد تعهد - سبحانه - بأن يجمع هذا القرآن -  
الذي أنزله منجما ومفرقا فقال لرسوله:

﴿ لَا تَجْرِدْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَاجِلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا  
قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتٍ ﴿١٩﴾ [ العنكبوت : ١٦ - ١٩ ] ..

ولقد سجل علماء علوم القرآن - قديما وحديثا - الواقع  
التاريخي لهذا الجمع الإلهي للقرآن الكريم، فقالوا - كما  
روى الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله ( ٣٢١ هـ -

٤٠٥ هـ / ٩٣٣ - ١٠١٤ م] في (المستدرک) - :

لقد جُمع القرآن ثلاث مرات:

(إحداها): بحضرة النبي ﷺ ..

ثم أخرج الحاكم - بسند على شرط الشيخين؛ البخاري  
ومسلم - عن زيد بن ثابت [ ١١ ق.هـ - ٤٥ هـ / ٦١١ -  
٦٦٥ م] قال: « كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من  
الرقاع... » - [أي: نجميعه - بحضرة النبي - من الرقاع  
المدون عليها].

وقال البيهقي - أحمد بن الحسين [ ٣٨٤ هـ - ٤٥٨ هـ /  
٩٩٤ - ١٠٦٦ م] - في شرح عبارة زيد بن ثابت: « شبه أن  
يكون المراد: تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها،  
وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ... ».

(الثانية): بحضرة أبي بكر [ ٥١ ق.هـ - ١٣ هـ / ٥٧٣ -  
٦٣٤ م].

قال الحارث المحاسبي [ ١٦٥ هـ - ٢٤٣ هـ / ٧٨١ -  
٨٥٧ م] - في كتاب (فهم السنن) - : « كتابة القرآن ليست  
بمحدثة، فإنه ﷺ كان يأمرهم بكتابتها، ولكنه كان مفرقا في  
الرقاع والأكتاف والعُصَب، فإنما أمر الصديق بنسخها من مكان  
إلى مكان مجتمعا، وكان ذلك بمنزلة أوراق وُجدت في بيت  
الرسول ﷺ فيها القرآن منتشرا، فجمعها جامع، وربطها بخيط

حتى لا يضيع منها شيء<sup>(١)</sup>.

( والجمع الثالث ) : في زمن عثمان ( ٤٧ ق.هـ - ٣٥ هـ / ٥٧٧ - ٦٥٦ م ).

- فقال القاضي أبو بكر [ ٤٦٨ هـ - ٥٤٣ هـ / ١٠٧٦ - ١١٤٨ م ] : - في ( الانتصار ) : - لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين ، وإنما قصد جمعهم على القراءة الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك ، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ، ولا تأويل أثبت مع التنزيل<sup>(٢)</sup>.

هكذا تم جمع القرآن جمعًا إلهيًا - عند مراجعة جبريل عليه السلام مع رسول الله ﷺ عدة مرات قبل انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى - بعد أن تم تدوينه بواسطة كتاب الوحي الذين تخصصوا في ذلك - وعددهم ثمانية وعشرون كاتبًا.. من وجوه المهاجرين والأنصار - : ثم ضم أبو بكر الصحائف ونسخها.. ثم جاء عثمان ونسخ هذا النص القرآني على حرف - لهجة - قريش - التي نزل بها - وذلك بعد زوال أسباب رخصة القراءة على سبعة أحرف ، التي كانت تيسيرًا على القبائل قبل توحيدهم لهجتها عندما تحولت إلى أمة..

(١) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ( ١ / ٤٧ - ٧٢ ) ، طبعة القاهرة ، سنة ( ١٩٥٣ م ).

على هذا الحفظ الإلهي.. وانجمع الإلهي للقرآن الكريم، شهدت وقائع التاريخ التي تحدثت عنه، والتي سجلها علماء الإسلام في "علوم القرآن" والتي شهد بها - أيضًا - العلماء المنصفون من غير المسلمين؛ مثل القس الأنجليكاني مونتجمري وات [١٩٠٩ - ٢٠٠٦ م] الذي أمضى من عمره أكثر من ثلث قرن في دراسة العربية والقرآن وراث الإسلام، وتوج ذلك بشهادته للقرآن، تلك التي قال فيها:

«إن القرآن كان يُسجل فور نزوله.. وعندما نمت كتابة هذا الوحي شكّل النص القرآني الذي بين يدينا.. إنه كلام الله وحده.. فهو قرآن عربي مبين.. وعندما تحدى محمد أعداءه أن يأتيه بسورة من مثل السور التي أوحيت إليه كان من المفترض أنهم لن يستطيعوا مواجهة التحدي؛ لأن السور التي تلاها محمد هي من عند الله، وما كان لبشر أن يتحدى الله»<sup>(١)</sup>.

○ ومع كل هذا الوضوح والنحس في الحفظ الإلهي للقرآن الكريم.. وفي الجمع الإلهي لهذا القرآن، حاول عدد من المستشرقين اليهود التشكيك في أن مصحف عثمان قد ضم كل القرآن الذي أوحاه الله إلى رسوله ﷺ، وركزوا

(١) مونتجمري وات: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر (ص ٣٦، ٨٢، ١٧٠)، ترجمة: د. عيد الرحمن عبد الله الشيخ، طبعة مكتبة الأسرة، القاهرة، سنة (٢٠٠١ م).

جهودهم، التي استندت أعمارهم على ما سموه اختلافات بين مصحف عبد الله بن مسعود [ ٣٢هـ / ٦٥٣م ] - الذي لم يكن من كتاب الوحي الثمانية والعشرين !! - وبين المصحف الإمام - مصحف عثمان - . لكن هذه المحاولات الاستشراقية اليهودية انهارت على رؤوس أصحابها.. وتحدثت عن هذا الانهيار ( دائرة المعارف الإسلامية ) - التي كتبها المستشرقون - فقالت عن المصير الذي انتهت إليه جهود المستشرق اليهودي « برجشتر أسر » الذي تخصص وتبحر في « القراءات الشاذة » .. ومن بعده المستشرق الأسترالي « جفري آرثر » ..

وانتهت - ( دائرة المعارف الإسلامية ) - « .. إلى أنه في الثلاثينيات من القرن العشرين، كان المستشرقون قد جمعوا بالفعل هذه الاختلافات وحللوها، وانتهوا إلى أنه لا قيمة لها، فانهارت الثقة فيها.. وهوت محاولات المستشرقين إصدار نسخة أخرى من القرآن غير نسخة عثمان.. لقد ظهر أن هذه المحاولة عرجاء.. بل إن المستشرق « فيشير » [ ١٨٦٥ - ١٩٤٩م ] انتهى إلى أن معظم الاختلافات المنسوبة لصحابة قبل مصحف عثمان ما هي إلا اختلافات موضوعة مكذوبة..

ووصل إلى هذه الحقيقة أيضًا الباحث « بيرتون » - في كتابه عن ( جمع القرآن ) - والباحث « ونسبرو » - في كتابه ( دراسات قرآنية ) - فقالوا: إن كل - وليس بعض - الاختلافات المنسوبة



إلى مصاحف الصحابة وغيرها موضوعة.. والحقبة هي أن محمداً كان قد جمع القرآن بالفعل أثناء حياته، وأن القرآن على عهده كان مصاغاً بشكله النهائي .. «<sup>(١)</sup>».

هكذا.. وبعد انهيار الجهود الاستشراقية اليهودية.. التي بذلت لإثبات اختلافات بين المصحف الإمام - مصحف عثمان - وبين المدونات السابقة للقرآن - شهد المستشرقون بأن المصحف الإمام قد ضم كل القرآن الذي نزل على رسول الإسلام.. « وأن محمداً كان قد جمع القرآن بالفعل أثناء حياته، وأن القرآن على عهده كان مصاغاً بشكله النهائي » ..

فطابقت شهادة المستشرقين وقائع تاريخ القرآن التي سجلها علماء الإسلام في « علوم القرآن ».



لكن.. وبعد انهيار هذه المحاولات الاستشراقية اليهودية.. جاء الجابري - سامحه الله - ليشكك - بل ويقطع - بأن مصحف عثمان ليس فيه كل القرآن الذي أنزله الله على رسوله ﷺ وأنه قد حدث في هذا المصحف الإمام:

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٨١٧٩/٢٦) وما بعدها، طبعة القاهرة، سنة (١٤١٨هـ / ١٩٩٨م)، وانظر كتابنا: حقائق وشبهات حول القرآن الكريم، (ص ٥٥ - ٥٩)، طبعة دار السلام، القاهرة، سنة (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).

١ - أخطاء..

٢ - ونسيان..

٣ - وتبديل..

٤ - وحذف..

٥ - ونسخ..

بل وشكك في بقاء مصحف عثمان كما كان عليه عند تدوينه - وإن لم يقطع بهذا التشكيك !! - ..

نعم!.. لقد اقترف الجابري بهذا الذي ادعاه خطيئة الخطايا.. وبلغ القمة في السقوط!!!..

ونحن - في تنفيذ هذه « الافتراءات الجابرية » على القرآن الكريم - سنكشف عورات « المنهج العجيب » الذي سلكه هذا الرجل في هذا الافتراء..

○ لقد سبق للجابري - في كتابه ( الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية )، المنشور سنة (١٩٨٢م) - أن قال: « إنه يتبنى - في التعامل مع تراثنا - منهجيات غربية، منها ما يتسمي إلى « كانت » (١٧٢٤ - ١٨٠٤م) أو « فرويد » (١٨٥٦ - ١٩٣٩م) أو « باشلار » (١٨٨٤ - ١٩٦٢م) أو « ألتوسير » (١٩٢١ - ١٩٩٠م) أو « فوكو » (١٩٢٦ - ١٩٨٤م) بالإضافة إلى عدد من المقولات الماركسية، التي

أصبح الفكر المعاصر لا يتنفس بدونها»<sup>(١)</sup>.

فهل كان الجابري وقيماً لهذه المنهجيات الغربية في التعامل مع قضية الحفظ الإلهي للقرآن الكريم؟  
إن من قواعد هذه المنهجيات الغربية - رغم تنوعها - :  
ترتيب مصادر البحث وفق درجتها الموثوقية والعلمية والموضوعية..

○ فالنص المتواتر له الصدارة..

○ والمُحكّم من هذا المتواتر يسبق - في الصدارة - المتواتر غير المحكّم؛ أي المتشابه أو المجازي الذي يحتمل أكثر من معنى.  
○ والحديث المتواتر، قطعي الثبوت، يسبق حديث الآحاد، ظني الثبوت..

○ وفي مصادر التاريخ - مثلاً - يلتزم الباحث الجاد - الذي يراعي قواعد هذه المنهجيات - تقديم ( تاريخ الطبري ) - مثلاً - على ( كتاب الأغاني ) - لأبي فرج الأصفهاني [ ٢٨٤ - ٣٥٦ هـ / ٨٩٧ - ٩٦٧ م ].. وتقديم ( كتاب الأغاني ) - مثلاً - على ( ألف ليلة وليلة ).. إلخ.. إلخ..

تلك أيجديات وبدهيات تعارفت عليها مناهج البحث، ليس في الغرب فقط، وإنما في مختلف الثقافات والحضارات..

(١) الجابري: الخطاب العربي المعاصر (ص ١٢)

لكن الجابري - في تعامله مع قضية الحفظ الإلهي للقرآن الكريم - لم يلتزم بهذه الأبجديات والبدهييات المنهجية.. وإنما أهذرها، بل وتبنى نقائصها!..  
وعلى سبيل المثال:

- فلقد ذهب - في كتابه ( في التعريف بالقرآن ) - إلى رفض الروايات التي تتحدث عن معجزات مادية أظهرها الله على يدي رسولنا ﷺ لأن هذه الروايات هي أحاديث آحاد، لا يمكن اعتمادها في مواجهة الآيات المحكمات في النص القرآني المتواتر، التي تقول إن المعجزة التي تحدث بها الرسول ﷺ قومه هي القرآن.. وليست المعجزات المادية<sup>(١)</sup>.

- لكن الجابري لم يلتزم هذا " المنهج المنطقي " في التعامل مع قضية الحفظ الإلهي للقرآن الكريم.. فأخذ يورد إحدى عشرة صفحة في كتابه هذا<sup>(٢)</sup> ملاًها - لا نقول بأحاديث الآحاد.. فليس فيها حديث واحد - وإنما شحنتها بالروايات الواهية التي تشكك في القرآن الكريم.. وهي الروايات التي حفل بها كتاب ( المصاحف ) للمجستاني، ذلك الكتاب الكذوب، الذي نشره أحد المستشرقين..

(١) في التعريف بالقرآن ( ص ١٨٧ - ١٩٠ )

(٢) المرجع السابق ( ص ٢٢٢ - ٢٢٣ )..

والذي أعادت طبعه سنة [ ٢٠٠٥ م ] أكبر كنائس الشرق، لتوزعه - في فروعها - بالمجان!!!

اعتمد الجابري - للتشكيك في حفظ القرآن الكريم - هذه الروايات الواهية.. بدلاً من أن يعتمد محكمات النص المتواتر المعجز المتحدي - القرآن الكريم - التي تقول عنه الآيات المحكمات:

﴿ ذَلِكَ الصِّحْفُ لَا رَيْبَ بِهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [ الفرقه: ٦ ] ..

﴿ فَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْغُطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۝ تَنزِيلٌ مِّنْ حَيْكُمٍ حَمِيدٍ ﴾ [ فصلت: ٤١، ٤٢ ] ..

﴿ وَأَنزَلْنَا مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ مِثْلًا ۝ ﴾ [ الكهف: ٦٧ ] ..

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ كَرِهُوا أَن يُذَكَرَ بِهِ ۝ فَتَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ مُدْبِرِينَ وَكُنْتُمْ كَافِرِينَ ۝ رَبُّكَ جَدُّكَ أَفَدَّكَ لَا مَبْدَلَ لِّكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [ الأنعام: ١١٤، ١١٥ ] ..

﴿ سُبْحَانَكَ لَا تَسْمَعُ ۝ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۝ وَيُبَشِّرُ لِّلْمُسْرِئِينَ ﴾ [ الأعلى: ٦ - ٨ ] ..

﴿ لَا تَحْزَنْ بِهِ ۝ بِإِذْنِكَ يَعْجَلُ بِهِ ۝ إِنَّا عَلَيْنَا بَعَثَهُ ۝ وَفَرَّغْنَا ۝ فَإِنَّا قَرَأْنَاهُ فَتَالِقُ ۝ قَوْلَهُ ۝ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا بِإِنْعَامِهِ ۝ ﴾ [ القمارة: ١٦ - ١٩ ] ..

ومع هذه الآيات المحكمات - في النص المتواتر

المعجز المتحدي - جاء الوعد الإلهي القاطع، والمؤكد بالعديد من أدوات التأكيد: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]..

لقد أهدو الجابري كل قواعد مناهج البحث العلمي، عندما ضرب صفحاً عن هذه الآيات المحكمات - التي سقنا منها أمثلة فقط - .. واعتمد - بدلاً منها - روايات واهية - ليس فيها حتى حديث آحاد - ليشكك في حفظ القرآن الكريم.. بل ويقطع بأن هذا الوحي القرآني قد أصابته الأخطاء.. والنسيان.. والتبديل.. والحذف.. والمحو.. والتغيير!!..

❖ بل إن المرء ليميل إلى سوء نية الرجل - والعياذ بالله - عندما يراه يورد كلاماً ساقطاً منه أعداء الإسلام ونسبوه إلى أم المؤمنين عائشة، تقول فيه:

« نزلت آية الرحم ورضاع الكبير عشراً. ولقد كانت في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله ﷺ ونشأ غلنا بموته دخل داجن - [شاة] - فأكلها »<sup>(١)</sup>!!..

ولو لم يكن الجابري سيئ النية، لاستخدم قواعد النقد للمرويات. وهو الذي ملأ الدنيا بالحديث عن المسحج النقدي.. والتفكيك.. والتحليل لبنية النصوص. ولعلم - انطلاقاً من العربية؛ لغة القرآن.. ولغة الرسول. ولغة عائشة -

(١) في التعريف بالقرآن (ص ٢٢٤).

أن الرضاع والرضاعة والإرضاع والمرضع والمرضعة لا يكون إلا في الحولين الأولين من عمر الطفل الرضيع .. ومن ثم فليس هناك ما يسمى « برضاع الكبير » أصلاً .. ولو شرب هذا الكبير « جرادل » من اللبن لما سمي ذلك رضاعاً!!! ..

ثم إن القرآن كان يدون - بوسنذ - على مواد صلبة؛ على العُشب: جريد النخل المستقيمة، يكشط عنها خوصها، ثم تحفف، وعلى القُصم: الجلد الصلب الأبيض، يكتب فيه .. وعلى اللُخاف: الحجارة البيضاء - وهي مواد صلبة لا تستطيع العنزة أن تأكلها - ..

ثم إن الوحي القرآني كان يدونه « ديوان » تُكوّن من ثمانية وعشرين كاتباً، فيهم وجوه المهاجرين والأنصار .. فهب - جدلاً - أن آية دونها أحد هؤلاء الكتاب قد أصابها عطب، فإنها تُلمس عند غيره من المدوّنين الثمانية والعشرين .. أو عند غيرهم من جمهور المؤمنين الذين كانوا يتسابقون إلى حفظ القرآن وتدوينه ..

ألم يخطر ببال الجابري - الذي صدّع الرؤوس بالحديث عن المنهج النقدي - أن يحاكم مثل هذه الروايات الخرافية الواهية إلى العقل والمنطق والمنهاج العلمي في نقد المرويات - الكذوبة - التي وضعها جهلة الزنادقة .. وجازت على عقول المغفلين! ..

ولكنه سره النية، الذي يجعل مفكراً كبيراً كالجابري «



يقبل مثل هذه المرويات الواهية المكذوبة، ليؤكد بها في حفظ القرآن الكريم..

بل إن سوء النية - عند الجابري - ليتأكد هنا، عندما يورد هذه الرواية - الواهية المكذوبة، ثم لا يشير إلى تعليق الإمام القرطبي [ ٦٧١ هـ / ١٢٧٧ م ] صاحب ( الجامع لأحكام القرآن ) - وهو من المصادر التي يشير إليها الجابري كثيراً -.. لا يشير الجابري إلى تعليق الإمام القرطبي على هذه الرواية المكذوبة.. والذي يقول فيه:

« وأما ما يحكى من أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فأكثرها الداجن، فمن تأليف الملاحدة والروافضى »<sup>(١)</sup>.

والجابري - بهذا الذي صنع - قد وقع في « التبدليس » عندما أورد رواية التشكيك في الحفظ الإلهي للقرآن الكريم، وامتنع عن الإشارة إلى تفنيد القرطبي لها..!

○ ولقد مضى الجابري - على طريق الخطيئة والسقوط - فوصل إلى « خلاصته الكارثية » التي قطع فيها بأن:

١ - القرآن كان مفروقاً قبل تدوين مصحف عثمان - (والمحق أنه كان مجموعاً الجمع الإلهي على رسول الله ﷺ.. ومراجعة جبريل له.. والجمع الذي نُسخ فيه في الصحف

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٤ / ١١٣)، طبعة دار الكتب المصرية

على عهد أبي بكر الصديق.. وربطت صحائفه برباط، كما  
تضم ملازم الكتاب) - ..

٢ - وأن القرآن - قبل التدوين العثماني - قد حدث فيه:  
أخطاء.. ونسبان.. وتبديل.. وحذف.. ومحو!!..

٣ - بل لقد شكك الجابري حتى في بقاء مصحف عثمان  
دون تغيير.. ولكن بأدلة «غير قاطعة»!!..

نعم!.. وصل الجابري - سبحانه الله - على طريق  
الخطيئة والسلوط - إلى هذه «الخلاصة الكارثية» التي قال  
فيها:

« وخلاصة الأمر، أنه ليس ثمة أدلة قاطعة على حدوث زيادة  
أو نقصان في القرآن كما هو في المصحف بين أيدي الناس، منذ  
جمعه زمن عثمان.

أما قبل ذلك، فالقرآن كان مفرقاً في «صحف» وفي صدور  
الصحابة، ومن المؤكد - [ لاحظ كلمة «المؤكد»! ] - أن  
ما كان يتوفر عليه هذا الصحابي أو ذلك من القرآن - مكتوباً  
أو محفوظاً - كان يختلف عما هو عند غيره - كتباً وتربياً، ومن  
الجاور أن تحدث أخطاء حين جمعه، زمن عثمان أو قبل ذلك،  
فالذين تولوا هذه المهمة لم يكونوا معصومين.

وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ  
لَنَاطِقُونَ ﴾ [ الحجر: ٩ ] .. فالقرآن نفسه ينص على إمكانية النسيان

والتبديل والحذف والنسخ<sup>(١)</sup>.

○ وبعد هذه المتناقضات العبيثة واللامعقولة التي جمعتها الجابري في « خلاصته البائسة » !

- عدم التعارض بين حدوث التبديل والنسيان والحذف والأخطاء في القرآن، وبين التأكيد الإلهي بحفظه حفظاً (لهيأ!!)...

○ بعد هذه المتناقضات العبيثة، يمضي الجابري « لينظر » لقبول التشكيك في جمع القرآن، الذي جمعه الله على عهد النبي ﷺ، والذي ضم أبو بكر صحائفه بعد نسخها ورَبَطَها.. والذي جمع عثمان الناس على قراءته وفق خرف قريش - لهجتها التي نزل بها -.. يمضي الجابري « لينظر » لهذا التشكيك فيقول :

« إن ذلك الذي سقط من القرآن - [ كذا!! ] - هو من الأمور المقبولة في كل عملية جمع تتم في ظروف مماثلة<sup>(٢)</sup>!! ».

○ بل إن أكاذيب الجابري لم تقف عند هذه الحدود... وإنما مضى ليدعي « أن جميع علماء الإسلام - [ إي والله! ] - قد اعترفوا بحدوث سقوط آيات وسور لم تدرج في المصحف الذي بين أيدينا الآن!! »

(١) في التعريف بالقرآن ( ص ٢٣٢ ).

(٢) المرجع السابق ( ص ٢٢٩ ).

هكذا افترى الجابري على " جميع علماء الإسلام " .. بعد أن افترى على الله - الذي جمع القرآن - ليأتي الجابري فيقول إنه كان مفرقا.. وافترى على الصحابة، الذين كَوَّن منهم رسول الله ﷺ « ديوانا » لتدوين القرآن.. والذين حفظوه - في الصحائف وفي الصدور -.. ذهب الجابري - بعد أن افترى على الله ورسوله وصحابته - إلى الافتراء على " جميع علماء الإسلام " مدعيا أنهم قد اجتمعوا على الاعتراف بحدوث سقوط آيات وسور من المصحف الذي بين أيدي المسلمين.. وفي هذا الادعاء الغريب والعجيب، وغير المسبوق، قال الجابري:

« إن ما يهمنا هنا هو ما يتصل بمسألة جمع القرآن، أعني ما يدخل في نطاق السؤال التالي:

هل المصحف الإمام - الذي جُمع زمن عثمان، والذي بين أيدينا الآن - يضم القرآن كله، جميع ما نزل من آيات وسور؟ أم أنه سقطت ( أو رفعت ) منه أشياء حين جمعه؟

والجواب عن هذا السؤال، من الناحية المبدئية، هو: أن جميع علماء الإسلام من مفسرين ورواة حديث وغيرهم، يعترفون بأن ثمة آيات وربما سور قد سقطت ولم تُدرج في نص المصحف<sup>(١)</sup>!!

(١) في التعريف بالقرآن (ص ٢٢٣).

○ وعند حديث الجابري عن سورة « براءة »، وجدناه - وهو المنتهجي المحقق.. والحدائي المدقق.. الذي احترق دعاوى النقد لتراث المسلمين - يُخمن - ( إي والله يخمن ) - سقوط القسم الأول من سورة « براءة » من مصحف عثمان!.. فيقول:

« وكل ما يمكن قوله - على سبيل التخمين لا غير - هو أن يكون الجزء الساقط من سورة براءة هو القسم الأول منها، وربما - [ لاحظ كلمة « ربما »! ] - كان يتعلق بذكر المعاهدات التي كانت قد أبرمت مع المشركين.. »<sup>(١)</sup>

○ ولأن الجابري - في المصادر والمراجع - هو « حاطب ليل » فلقد شاء الله له أن يوضح نفسه بنفسه، بإيراده ما ينقض دعواه..

فبعد أن ادعى الدعوة الغريبة والعجيبة التي تقول:

« إن جميع علماء الإسلام، من مفسرين ورواة حديث وغيرهم، يعترفون بأن ثمة آيات وربما سور قد سقطت ولم تدرج في نص المصحف ».

بعد خمس صفحات من هذا الادعاء الكارثي، يورد الجابري رأي علماء الشيعة المعاصرين « الذين يقولون إن القرآن كما هو الآن في المصاحف هو القرآن الذي نزل على

محمد بن عبد الله، وأنه لا قرآن غيره <sup>(١)</sup>.

فأين إذا هذا الإجماع الذي اجتمع عليه " جميع علماء الإسلام واعترفوا فيه بحدوث سقوط آيات وربما سور لم تدرج في نص المصحف " ١١؟..

○ وكما قال آخر على الجمع العشوائي " لحاطب الليل " هذا.. رأينا الجابري، بعد أن ذهب - في خلاصته " الكارثية البائسة " - إلى حدوث تبديل في القرآن الكريم، وإلى الاستدلال بالآية ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ أَيْدِي اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ سَمًا يَبْرُكُ ۚ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَدَّلْ كُذِّبُوا لَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [التول: ١٠١]..

بعد أن استدلل بهذه الآية <sup>(٢)</sup> على حدوث تبديل وحذف وتغيير في القرآن الكريم.. رأينا يعود ليتقضى غرضه - الذي هو أوهى من بيت العنكبوت - فيقول:

« إن معنى الآية - هنا - العلامة والمعجزة، وهو السمعى الغالب الذي وردت فيه هذه اللفظة في القرآن.. أي إذا كنا قد جعلنا العصا التي تنقلب ثعباناً علامة على صدق موسى، مثلاً، فقد بدلنا هذه المعجزة بأخرى لتكون علامة على صدق نبوة عيسى.. وهي منحة القدرة الكلامية إلى الناس وهو صبي <sup>(٣)</sup>.

(١) في التعريف بالقرآن (ص ٢٢٩).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٣٢).

(٣) فهم القرآن، القسم الثالث (ص ١٠٥، ١٠٩).

وهكذا نقض الجابري غزله.. فبعد أن زعم أن « الآية » التي تبدلت هي الآية - أي الجملة - القرآنية.. عاد فقطع بأن هذه « الآية » التي تناولها التبديل هي المعجزة، وليست الآية القرآنية!

○ وبعد أن ادعى الجابري أن النسخ كان من عوامل التغيير والمحو والتبديل التي حدثت في القرآن الكريم.. عاد - رجل المتناقضات - المحاطب في ليل « شبكة المعلومات - والذي ينسب إلى « مصادر » لا يسميها! - عاد لينكر حدوث نسخ، بمعنى المحو والإزالة، في القرآن الكريم.. فقال في تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٢].. عاد ليقول:

« إن هذا المحو بمثابة إحكام جديد لمنهج الرسالة وأدلتها ومقاصدها، فالنسخ والإحكام لا يعودان إلى ألفاظ هذه الآية القرآنية أو تلك، بل يعودان إلى مسار الدعوة المحمدية، وإلى سيرورتها الفعلية المقررة في محكم الكتاب.. فليس في القرآن ناسخ ومنسوخ، وكل ما هناك هو وجود أنواع من التدرج في الأحكام من العام إلى الخاص، ومن المطلق إلى المقيد، ومن المجمل إلى المبين، ومن الميهم إلى المعين.. » (١)

(١) فهم القرآن، القسم الثالث (ص ١٠٥، ١٠٩).



○ وبعد أن استدلل الجابري - في « خلاصته الكارثية البائسة »<sup>(١)</sup> بالآية القرآنية ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَيَعْدِلُ أَمْ تُنْكِرُونَ﴾ [الرعد: ٣٩] على وجود محو لآيات قرآنية.. عاد ليؤكد عدم حدوث أي محو لأي آية من آيات القرآن.. فقال - في تفسير ذات الآية -:

« وهكذا يتضح أن قوله: ﴿يَمْحُوا﴾ لا علاقة له بالقرآن، ولا يكون بعض آياته تنسخ الأخرى.. »<sup>(٢)</sup>.

○ وكذلك حال الجابري - في جميع المتناقضات - مع مصطلح « النسخ ».. فبعد أن زعم في « خلاصته الكارثية البائسة »<sup>(٣)</sup> أن النسخ لآيات القرآن قد كان لوئاً من ألوان التغيير والتبديل الذي حدث في القرآن الكريم.. عاد فنقض هذا الادعاء، وأكد على أن لفظ « آية » في القرآن ﴿مَا تَنَسَخَ مِنْ مَّائَةٍ﴾ لا يعني الآية القرآنية، وإنما يعني المعجزة والعلامة.. فقال:

« وإذا نحن رجعنا إلى القرآن الكريم، فإننا سنجد لفظ « آية » في جميع الصيغ التي ورد فيها ( آية، آيات، آياتي، آياتنا ) ينصرف معناه إلى العلامة ( أو المعجزة التي تثبت وجود الله وقدرته... إلخ ).

(١) في التعريف بالقرآن ( ص ٢٣٢ ).

(٢) فيهم القرآن، القسم الثالث ( ص ١٠٥، ١٠٨، ١٠٩، ٢١٨ ):

(٣) في التعريف بالقرآن ( ص ٢٣٢ )

وعلى هذا فلا معنى للقول بالنسخ في القرآن إلا بمعنى أن الله ينسخ معجزة نبي سابق بمعجزة أخرى لنبي لاحق، دليلاً على صحة وصدق نبوة كل منهما، أو ينسخ ظاهرة طبيعية مثل الليل بظاهرة طبيعية أخرى مثل النهار... إلخ دليلاً على قدرته. والنسخ بهذا المعنى هو إحلال شيء مكان شيء آخر، وليس في القرآن قط ذكر لما اصطلاح على تسميته « آية » بمعنى قطعة من القرآن.. «<sup>١</sup>».

○ ومثال آخر على تناقضات الجابري « حاطب الليل » الذي اعترف مادته في سرعة - ودون تدقيق - ليخرج هذه الدراسة الضخمة في سنوات قليلة - .. موقفه من المراد بمصطلح « الذكر » في القرآن الكريم.. فمرة يتدخ بدعة غريبة وغير مسبوقة عندما يزعم أن « الذكر خاص والقرآن عام، الذكر جزء من الوحي المحمدي، أما القرآن فهو هذا الوحي بجميع أجزائه، الذي يقرؤه جبريل على النبي ليبلغه للناس »<sup>٢</sup>.

ولو أن الجابري - الذي أعاد ترتيب سور القرآن وفق ما سماه أسباب النزول - قد تتبع مصطلح « الذكر » في القرآن، لوجده قد جاء - منذ بواكير الوحي، في السور المكية - تعبيراً عن القرآن الكريم.. نجد ذلك في السور المكية: آل عمران ( الآية: ٥٨ )، والأعراف ( الآية: ٦٣، ٦٩ )، ويوسف ( الآية:

(١) فهم القرآن، القسم الثالث (ص ١٠٠، ١٠١).

(٢) في التعريف بالقرآن (ص ١٥٥).

(١٠٤)، والحجر (الآية: ٩)، والنحل (الآية: ٤٤)، والأنبياء (الآية: ٥، ٢)، والشعراء (الآية: ٥)، ويس (الآية: ١١، ٦٩)، وص (الآية: ٤٩، ٨٧)، وفصلت (الآية: ٤١)، والقصاص (الآية: ٢٥)، والقلم (الآية: ٥١) ..

ففي هذه السور المكية - أي منذ بواكير الوحي - أطلق لفظ « الذكر » على القرآن الكريم .. المحفوظ في اللوح المحفوظ .. والذي إنما نزل منجماً لتثبيت فؤاد المصطفى ﷺ.

لكن .. لعل الجابري قد أراد - بهذه البدعة الغربية - أن ينفي الوعد الإلهي بالحفظ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] .. عن « كل » القرآن .. وأن يقصر هذا الحفظ على « بعض » القرآن، توسلاً إلى دليل يدعم تشكيكه في حفظ القرآن الكريم عن التغير والتبديل والمحو والسهو والنسيان ..

لكن الجابري - بعد أن ساق هذه البدعة الغربية، غير المسبوقة، حتى من غلاة أهل البدع والأهواء - عاد ليناقض نفسه، وليثبت أنه « حاطب ليل »، فأورد ما ينقض هذا الذي قدمه - في نفس الكتاب - بل وفي الصفحة التالية !! .. عاد لينقض غزله العنكبوتي .. وليقول:

« .. وينصرف معنى « الذكر » إلى القرآن نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا يَتْلُوهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦] .. وقوله - وكأنه يرد عليهم - ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

وَأَنَّا لَهُمُ الْحَافِظُونَ ﴿١٩﴾ [الحجر: ١٩].. «<sup>(١)</sup>».

○ وفي إطار سلسلة « المتناقضات الجابرية » - التي جمعها الرجل في كتابه، دون نقد ولا تحقيق - نجده - بعد أن قطع - في « خلاصته الكارثية البائسة » - أن المصحف الذي بأيدينا - مصحف عثمان - لا يضم جميع ما نزل على رسول الله ﷺ من آيات وسور.. ومضى في العبث اللامعقول واللامقبول إلى حيث قال:

« إن جميع علماء الإسلام، من مفسرين ورواة حديث وغيرهم، يعترفون بأن ثمة آيات وربما سور قد سقطت ولم تُدرج في نص المصحف.. »<sup>(٢)</sup>.

بعد هذا الافتراء العاثر، والعبث المفتري، عاد الجابري فجمع في كتابه ما ينقض هذا الافتراء.. ووجدناه يورد - في تفسير قوله تعالى - : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ إِذِ انبَعَثَ مِن دَارِهِ حَكِيمٌ حَبِيرٌ ﴾ [هود: ١١].. يورد هذه العبارة:

« والقرآن كليته ومفرقه، واحد ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ ۚ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].. »<sup>(٣)</sup>.

وهي شهادة بأن القرآن - الذي لا يأتيه الباطل من بين

(١) في التعريف بالقرآن (ص ١٥٦).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٢٣).

(٣) فهم القرآن، القسم الثالث (ص ١١٠).

يديه ولا من خلفه - هو الذي نزل على محمد ﷺ وليس فقط الذي نسخه عثمان بن عفان!..

كما يورد الجابري - في صفحات أخرى من كتابه - ما ينقض افتراءه على القرآن بادعاء حدوث السقط والمحو والتغيير والتبديل فيه - فيقول - مثلاً :-

« إن هذا المقروء، الذي لم يكن الاعتماد على حفظه من الضباع مقتصرًا على تكرار قراءته وتسجيله في الذاكرة الفردية والجماعية، بل كان يُكتب أيضًا فيما يسر من سعف النخل وقطع الجلود وورق البردي... إلخ.. ما لبث - [ هذا المقروء ] - أن أصبح مكتوبًا في صحف يتزايد عددها باستمرار... »<sup>(١)</sup>

كما يورد هذه العبارات:

« لقد بقي على قيد الحياة معظم الذين باشروا كتابة القرآن منذ البداية، وكثير من الذين حفظوه في صدورهم منذ ابتداء نزوله إلى نهايته قبل وفاة الرسول،

وعندما جمع القرآن في المصحف الذي بين أيدينا اليوم، زمن الخليفة عثمان، تم ذلك بحضور كثير من الصحابة، وكان في مقدمتهم عدد من كتاب الوحي وقراءه... »<sup>(٢)</sup>

(١) في التعريف بالقرآن (ص ١٦٠).

(٢) المرجع السابق (ص ٢١).

كما يقول:

« إن عملية جمع القرآن من المصاحف قد خضعت لتدقيق كبير وتحريات مشددة »<sup>(١)</sup>.

حتى إن القرء ليخار! أين الجابري من هذه المتناقضات، التي لا يجمعها أفسد التأويلات!

- خلاصة « كارتية بائسة »، تقطع بأن مصحف عثمان لم يضم كل ما نزل على الرسول ﷺ من القرآن.. وادعاء بإجماع علماء الإسلام على هذا الافتراء!!..

- وعبارات متناثرة - في ذات الكتاب - تقطع بما يناقض وينقض هذا الافتراء!!..

\*\*\*

○ لقد تم تدوين المصحف الإمام - مصحف عثمان - الذي سبق وجمعه الله على عهد رسول الله ﷺ بمراجعة جبريل القرآن مع النبي - مرتباً ومجموعاً - عدة ختمات - .. وهو - القرآن - المجموع - الذي تم نسخه - على عهد أبي بكر الصديق - في الصحف، مع ضم هذه الصحف وربطها - كما تجمع صحائف الكتاب وملازمة - ..

تم تدوين هذا القرآن سنة [ ٣٠هـ / ٦٥٠ م ] بقراءة - لهجة - قریش - التي نزل بها - بعد توحد الأمة على

(١) في التعريف بالقرآن (ص ٣٥).

هذه القراءة - اللهجة - وزوال أسباب رخصة القراءة على الأحرف السبعة، التي اقتضتها مرحلة « القبائل » قبل الاندماج في « الأمة ».. أي أن هذا التدوين - في المصحف الإمام - مصحف عثمان - كان نسخ القرآن المجموع على عهد الرسول ﷺ والذي فُسمت صحائفه على عهد أبي بكر الصديق.. ولقد تم - يومئذ - حرق المصاحف التي كان بعضها مكتوبة بعض كلماته وفق رخصة القراءة بالحروف السبعة.. وكان بعضها الآخر قد وضع أصحابها كلمات تفسيرية بجانب بعض كلمات القرآن - للتفسير أو التأويل -.. والتي كان بعضها غير شامل لكل القرآن الكريم.. تم حرق هذه المصاحف، حتى تجتمع الأمة - وفق عبارة الحارث المحاسبي [١٦٥ - ٢٤٣ هـ / ٧٨١ - ٨٥٧ م] :-

« على القراءة الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك، وعلى مصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع التنزيل »<sup>(١)</sup>.

ذلك لأن بعض الصحابة كانت لهم « مدونات » من القرآن لا تجمعها كله.. أو لا تلتزم ترتيبه الإلهي.. كما كان بعضهم يضع كلمات للتفسير بجوار بعض ألفاظ القرآن.. ولقد تم - كما قدمنا - هذا التدوين للمصحف الإمام،



الذي جمع الأمة على القراءة التي نزل بها القرآن - قراءة النبي القرشي ﷺ - وعلى الصورة التي سبق تدوينها على عهد الرسول.. وعهد أبي بكر الصديق..

تم ذلك - على عهد عثمان سنة [ ٣٠هـ / ٦٥٠ م ] بحضور آلاف الصحابة الذين يحفظون القرآن « كله » عن ظهر قلب - في مجتمع كانت الحافظة فيه تحتل المرتبة العليا - .. وكان هؤلاء الصحابة الحفاظ القرآن يتعبدون بتلاوة هذا القرآن أثناء الليل وأطراف النهار..

ولقد تم هذا التدوين، لا من هذه الصدور الحافظة وحدها، وإنما أيضًا من المصحف المكتوب والمجموع - في عهد النبي وفي عهد الصديق - .. وتم ذلك بإشراف وقيادة عدد من كتاب الوحي، الذين تخصصوا في تدوينه منذ بدء الوحي.. وكان ثلاثة عشر من كتاب الوحي هؤلاء لا يزالون أحياء، وشهودًا على عملية التدوين والنسخ للمصحف الإمام - مصحف عثمان - وهم:

١ - عثمان بن عفان [ ٤٧ق.هـ - ٣٥هـ / ٥٧٧ - ٦٥٦ م ].

٢ - علي بن أبي طالب [ ٢٣ق.هـ - ٤٠هـ / ٦٠٠ -

[ ٦٦١ م ].

٣ - الزبير بن العوام [ ٢٨ق.هـ - ٣٦هـ / ٥٩٦ - ٦٥٦ م ].

٤ - زيد بن ثابت [ ١١ق.هـ - ٤٥هـ / ٦١١ - ٦٦٥ م ].

- ٥ - حفظة بن الربيع [ ٤٤٥ هـ / ٦٦٥ م ].
  - ٦ - معاوية بن أبي سفيان [ ٢٠ ق. هـ - ٦٠ هـ / ٦٠٣ - ٦٨٠ م ].
  - ٧ - عبد الله بن الأرقم [ ٤٤ هـ / ٦٦٤ م ].
  - ٨ - معيقب بن أبي فاطمة الدوسي [ ٤٠ هـ / ٦٦٠ م ].
  - ٩ - عمرو بن العاص [ ٣٥ ق. هـ - ٤٣ هـ / ٥٧٤ - ٦٦٤ م ].
  - ١٠ - محمد بن مسلمة الأوسي [ ٣٥ ق. هـ - ٤٣ هـ / ٥٨٩ - ٦٦٣ م ].
  - ١١ - المغيرة بن شعبة [ ٢٠ ق. هـ - ٥٠ هـ / ٦٠٣ - ٦٧٠ م ].
  - ١٢ - عبد الله بن أبي سرح [ ٣٧ هـ / ٦٥٧ م ].
  - ١٣ - سعيد بن العاص [ ٣ - ٥٩ هـ / ٦٢٤ - ٦٧٩ م ]<sup>(١)</sup>.
- وهكذا اجتمع لهذا الكتاب العزيز من عناصر الموثوقية ما لم يجتمع لكتاب آخر - ديني أو بشري - غير التاريخ ..
- وبعبارات شيخ الأمانه الشيخ أمين الخولي [ ١٣١٣ - ١٣٥٨ هـ / ١٨٩٥ - ١٩٦٦ م ] التي لخصت جمع القرآن على عهد النبي ﷺ، وعلى عهد أبي بكر الصديق، وعلى عهد
- 
- (١) انظر كتابه حقائق ومضاهات حول القرآن الكريم (ص ٢٧ - ٤٦)، طبعة دار السلام، القاهرة، سنة (١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م).

عثمان.. وطبيعة كل عملية من هذه العمليات الثلاث:

- ١ - جمع النبي ﷺ للقرآن « بمعنى ضم أجزائه ».
- ٢ - وجمع أبي بكر - للقرآن - « الذي كأنه جمع الملازم في الكتاب ».

- ٣ - وجمع عثمان الأمة على حرف واحد - لهجة واحدة - بعد زوال دواعي رخصة القراءة على الأحرف السبعة..
- بعبارات شيخ الأئمة، التي قال فيها:

« لقد كان للرسول ﷺ عناية بنشر الكتابة في مجتمعه، وكان له كتبة يكتبون بين يديه القرآن، ويكتبون رسائله، وقد بلغ عددهم إلى بضعة وعشرين شخصاً، ورأى ﷺ لبعضهم أن يتعلموا من اللغات غير لغتهم العربية.

وكذلك كُتب القرآن أولاً بأول، مع حفظ ما ينزل منه كذلك أولاً بأول.

إن القرآن حينما نزل مفرقاً، كان يحفظه نفر من أصحاب الرسول، منهم من حفظه كله بأجمعه ومنهم من حفظ ما تيسر منه، وكان قد كُتب الكتابة التي مكَّنت منها الظروف.. وهذا ما يمكن أن نسميه الجمع الأول للقرآن، إذ اجتمع في صدور حفاظ أقوىاء الحافظة.. واجتمع في مكتوبات، وإن لم تأخذ صورة المصحف والكتاب كما نفهمها اليوم، لتفرق المواد التي كانت عليها الكتابة، واختلاف أنواعها..

[ ثم ] إن هذا الجمع الذي تم في عهد أبي بكر كان الجمع الذي يحقق المعنى المادي للجمع والضم - [ فكانه جمع الملازم في كتاب ] - والحال التي تم فيها وبها هذا الجمع تهيم من الاطمئنان إلى المجموع ما لا يكاد يتوافر مثله على التاريخ لما حفظت البشرية من نصوص وأصول..

.. وإن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع، وإنما هي لهجات مختلفة في اللغة العربية، وُجدت في القرآن جملة. لا أنها كانت سبع لهجات في كل آية وكل موضع من القرآن، ولقد كانت ضرورة حيوية اقتضاها الواقع اللغوي للعربية..

وهذه الضرورة قد ارتفعت الحاجة إليها حين تغير حال المجتمع الإسلامي، عندما انضبط الأمر وتدرجت الألسن. وكثر الناس والكتّاب..

وعندما ارتفعت هذه الحاجة إلى الأحرف المختلفة جمع عثمان ( المصحف الإمام ) .. فكان مصحفه حرفاً واحداً. لقد غدا الناس - بعد جيل تغيرت فيه الحياة تغيراً جوهرياً كبيراً - لا ضرورة تقتضي عليهم باستعمال حروفهم، لئلا يختلفوا، فقد صاروا بحيث يستطيعون الاتفاق..

وهذا الذي صنعه عثمان، إذا سميناه جمعاً، فإنه لجدير بأن يسمى جمع المسلمين، لا جمع القرآن، فإن جمع القرآن قد كان في عهد الرسول - بمعنى ضم أجزائه .. وفي عهد أبي بكر بما حفظ أصلاً رسمياً يكون مرجعاً، وعمل عثمان هو تهية هذا

الأصل الرسمي للتداول العملي على حال تلائم الدعوة الإسلامية التي امتدت وتمتد...<sup>(١)</sup>.

○ هكذا شهد العلماء الثقات - من القدماء والمحدثين - بعد أن استعرضوا وقائع تاريخ تدوين القرآن الكريم وجمعه - شهدوا على اجتماع أعلى مستويات العناية بالتدوين والجمع لهذا الكتاب العزيز.. تلك العناية البشرية الفريدة، التي مثلت الاستخلاف البشري في تحقيق الوعد الإلهي - المؤكد - بالحفظ لهذا القرآن الكريم..

\*\*\*

لكن الدكتور الجابري - سامحه الله - قد أعرض عن هذا الذي كتبه الحارث المحاسبي وعشرات من علماء علوم القرآن - قديماً - .. والذي كتبه أمين الخولي وعشرات من علماء علوم القرآن - المحدثين - .. كما أعرض الجابري عن شهادات عدد من المستشرقين - الذين فقهوا « تاريخ الإسلام » - مثل « مونتجمري وات » والذين حرروا « دائرة المعارف الإسلامية »، وشهدوا بسقوط وأنهيار المحاولات الاستشراقية اليهودية لإثبات اختلافات بين المصحف الإمام - مصحف عثمان - وما سبقه من مدونات بعض الصحابة للقرآن الكريم..

(١) أمين الخولي: عن القرآن الكريم (ص ٣٠، ٣١، ٣٧، ٤٣، ٤٤)، تقديم:

د. محمد عمارة، طبعة نهضة مصر، القاهرة، سنة (٢٠٠٠ م).

لقد أعرض الجابري عن طريق العلماء المحققين المتصفين.. وسار في طريق الجهلاء المفترين، ليصل في « خلاصته الكارثية البائسة » إلى دعوى حدوث الأخطاء والنسيان والتبديل والحذف والمحو في القرآن الكريم.. وإلى أن مصحف عثمان - الذي بأيدي المسلمين - « لم يضم القرآن كله » الذي نزل على رسول الله ﷺ..

ويبلغ به الافتراء إلى الحد الذي ادعى فيه « أن جميع علماء الإسلام، من مفسرين ورواة حديث وغيرهم، يعترفون بأن ثمة آيات وربما سور قد سقطت ولم تدرج في نص المصحف »..

بل وادعى أن حدوث كل ذلك في القرآن لا يتعارض مع قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ قَرْنُاَ الْوَكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]..<sup>(١)</sup>

○ ولأن الجابري قد سقط في مستنقع هذه الخطايا.. كان لا بد وأن نختم هذه الدراسة بنماذج من كتابات علماء الإسلام الذين افترى عليهم الجابري، فزعم أنهم قد أجمعوا على أن القرآن قد سقطت منه آيات وسور لم تدرج في نص المصحف الإمام.. نماذج من كتابات عدد من علماء الإسلام - الذين يمثلون تيارات الفكر الإسلامي ومذاهبه - عبر تاريخ الإسلام - ليرى القارئ إجماع هؤلاء العلماء على

(١) في التعريف بالقرآن (ص ٢٣٢، ٢٣٣).

الحفظ الإلهي للقرآن الكريم.. وعلى العناية الفريدة المتفردة التي حظى بها هذا الكتاب العزيز في تاريخ الإسلام.. وذلك حتى يقارن القارئ بين هذه النصوص الموثقة لعلماء الإسلام وبين دعوى الجابري اجتماع هؤلاء العلماء على حدوث أخطاء وحذف ومحو وسهو ونسيان وتبديل في تدوين القرآن الكريم..

إنه الختام الذي يحق الحق ويدفع الباطل.. والذي لسوق فيه نماذج من كتابات كوكبة من أعلام العلماء حول:

١ - الحفظ الإلهي للقرآن الكريم..

٢ - وعصمة النص القرآني عن التغير والتحريف..

٣ - وعصمة رسول الإسلام ﷺ من النسيان لشيء من الوحي الذي نزل به الروح الأمين على قلب الصادق الأمين، ليبلغه ويبينه للعالمين.

○ يقول الإمام الفخر الرازي [٥٤٤ - ٦٠٦ هـ / ١١٥٠ -

١٢١٠ م] - صاحب التفسير الكبير - في تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر ٩٠]..

« يعني: وإنا نحفظ ذلك الذكر من التحريف والزيادة والنقصان..

ونظيره قوله تعالى في صفة القرآن: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]..



وقال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾  
[النساء: ٨٢] ..

فإن قيل: فلم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه، وما حفظه الله فلا خوف عليه؟

والجواب: أن جمعهم للقرآن كان من أسباب حفظ الله تعالى إياه، فإنه تعالى لما حفظه قبضهم لذلك. لقد وعد الله تعالى بحفظ القرآن، والحفظ لا معنى له إلا أن يبقى مصوناً من الزيادة والنقصان..

وقال بعضهم: لقد حفظه بأن جعله معجزاً مبيناً لكلام البشر، فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان عنه؛ لأنهم لو زادوا فيه أو نقصوا عنه لتغير نظم القرآن، فيظهر لكل العقلاء أن هذا ليس من القرآن، فصار كونه معجزاً كإحاطة السور بالمدينة يحصنها ويحفظها.

وقال آخرون: أعجز الخلق عن إبطاله وإفساده بأن قيّض جماعة يحفظونه ويدرسونه ويشهرونه فيما بين الخلق إلى آخر بقاء التكليف.

وقال آخرون: المراد بالحفظ هو أن أحداً لو حاول تغييره بحرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا: هذا كذب وتغيير لكلام الله تعالى، حتى أن الشيخ المهيب لو اتفق له لحن أو هفوة

في حرف من كتاب الله تعالى لقال له الصبيان: أخطأت أيها الشيخ، وصوابه كذا وكذا. فهذا هو المراد من قوله: ﴿وَإِنَّا لِلَّهِ كَافٍظُونَ﴾.

واعلم أنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ؛ فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير، إما في الكثير منه أو في القليل. وبقاء هذا الكتاب مصوناً عن جميع جهات التحريف، مع أن دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده، من أعظم المعجزات.

وأيضاً، أخبر الله تعالى عن بقاءه محفوظاً عن التغيير والتحريف، وانقضى الآن قريباً من ستمائة سنة - [ في عصر الرازي ] - فكان هذا إخباراً عن الغيب، فكان ذلك أيضاً معجزاً قاهراً.. ﴿١١٥﴾.

○ وفي حفظ القرآن الكريم من التبديل، يقول الإمام الرازي - أيضاً - في تفسيره قول الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا أُورُشَإَإِيكَ مِن كِتَابٍ رَبَّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَٰكِن يَّجِدُ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧]:

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾: أي يمتنع تطرق التغيير والتبديل إليه..

فإن قيل: فيجب ألا يتطرق النسخ إليه..

قلنا: هذا هو مذهب أبي مسلم الأصمهباني [ ٢٥٤ - ٢٢٢هـ / ٨٦٨ - ٩٣٤ م ] فليس يبعد. وأيضاً فالنسخ في الحقيقة ليس بتبديل؛ لأن المنسوخ ثابت في وقته إلى وقت طريان النسخ، فالنسخ كالعاقبة، فكيف يكون تبديلاً؟<sup>(١)</sup>

○ كما يقول الإمام ابن كثير [ ٧٠٠ - ٧٧٤هـ / ١٧٠١ - ١٣٧٣ م ] - صاحب ( تفسير القرآن العظيم ) - في تفسير قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [ الحجر : ٩ ] :  
« قرر تعالى أنه هو الذي أنزل عليه الذكر وهو القرآن، وهو الحافظ له من التغير والتبديل »<sup>(٢)</sup>

كما يقول في تفسير قوله - سبحانه - : ﴿ وَأَنزَلْنَا مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِن ذِكْرٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنُحِجَّذَ مِن دُونِهِ مُنْتَحَكًا ﴾ [ الكهف : ٢٧ ] :

« لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ » : أي لا مُغَيِّرَ لها ولا مُحَرِّفَ ولا مُزِيلَ ..<sup>(٣)</sup>

○ وفي تفسير آية الحفظ، يقول الإمام القرطبي [ ٦٧١هـ / ١٢٧٧ م ] - في ( الجامع لأحكام القرآن ) - :

« ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ يعني : القرآن ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(١) المصدر السابق ( ١٠٥ / ٢١ ) .

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ( ٥٤٧ / ٢ ) ، طبعة دار التراث، القاهرة .

(٣) المصدر السابق ( ٨٠ / ٣ ) .

من أن يزداد فيه أو ينقص منه.. فنولى سبحانه حفظه، فلم يزل محفوظاً.

وقال في غيره: ﴿يَا أَسْتَحْفِظُوا﴾ فوكل حفظه إليهم فبدلوا وغيروا<sup>(١)</sup>.

وفي تفسيره لآية نفي التبديل - ﴿وَأَنزَلْنَا مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فِي مِصْرٍ رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ مِثْقَالًا﴾ [الكهف: ٢٧] - يقول: «أي اتبع القرآن، فلا تبدل لكلمات الله»<sup>(٢)</sup>.

وفي تفسير آية الحفظ يقول الإمام الزمخشري [٤٦٧ - ٥٣٨ هـ / ١٠٧٥ - ١١٤٤ م] - صاحب (الكشاف) -:

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات، وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد ﷺ. وبين يديه ومن خلفه رصد، حتى نزل وبلغ محفوظاً عن الشياطين، وهو حافظ له في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة، فإنه لم يتول حفظها، وإنما استحفظها الربانيين والأخبار فاختلفوا فيما بينهم بغيره، فكان التحريف، ولم يكل إلى غيره حفظه..

﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾: قد جعل ذلك دليلاً على أنه منزل من

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٥/١٠)

(٢) المفسر السابق (١٠/٣٨٩).

عنده آية، لأنه لو كان من قول البشر أو غير آية؛ لتطرق عليه الزيادة والتقصان كما يتطرق على كل كلام سواه<sup>(١)</sup>.

○ كما قال الزمخشري في تفسير قوله - سبحانه - لنبيه:  
﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٧) ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ  
فَأَنْتَعِلْ كَرَأَاهُ﴾ (٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (٩) [القيامة: ١٦ - ١٩] ...

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ﴾: الضمير في ﴿بِهِ﴾ للمقرآن، وكان  
رسول الله ﷺ إذا نُقِنَ الوحي نازع جبريل في القراءة ولم  
يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفاً من أن يتفلس  
منه، فأمر بأن يستنصت له، ملقياً إليه بقلبه وسمعه حتى  
يُنْقَضِيَ إليه وحيه، ثم يُقْفِيهِ بالدراسة إلى أن يرسخ فيه.

والمعنى: لا تحرك لسانك بقراءة الوحي مادام جبريل -  
صلوات الله عليه - يقرأ ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾: لتأخذه على عجلة،  
ولئلا يتفلس منك.

ثم علل النهي عن العجلة بقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في  
صدرك وإثبات قراءته.

﴿فَإِذَا قَرَأَهُ﴾: جعل قراءة جبريل قراءته. والقرآن: القراءة  
﴿فَأَنْتَعِلْ كَرَأَاهُ﴾: فكن متقياً له فيه ولا ترأسه، وطمئن نفسك أنه

لا يبقى غير محفوظ، فنحن في ضمان تحفيظه <sup>(١)</sup>.

○ ويقول الزمخشري - في تفسير آية ﴿ وَأَنْتَ مَا أَوْحَيْتَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ مَلْحَقًا ﴾ [الكهف: ٢٧] :-

﴿ وَأَنْتَ مَا أَوْحَيْتَ إِلَيْكَ ﴾ من القرآن، ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل، فلا مبدل لكلمات ربك، أي لا يقدر أحد على تبديلها.. <sup>(٢)</sup>.

○ كما يقول فيلسوف المعتزلة، قاضي القضاة عبد الجبار ابن أحمد الهمداني (٤١٥ هـ / ١٠٢٥ م) - في كتابه (تنزيه القرآن عن المطاعن) :-

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَافِعُونَ ﴾ [الحجر: ٩] : " يدل على أن القرآن لا يغير ولا يبدل ولا يزداد فيه ولا ينقص <sup>(٣)</sup>."

\*\*\*

وكما تجلّى هذا الموقف الحاسم لأعلام علماء الإسلام من قضية الحفظ الإلهي للقرآن الكريم من التغيير والتبديل والتحريف.. تجلّى موقفهم الحاسم كذلك من عصمة رسول الله ﷺ عن أن ينسى شيئاً مما أوحاه إليه موله..

(١) الزمخشري، الكشف (٤ / ١٩١).

(٢) المصدر السابق (٢ / ٤٨١).

(٣) القاضي عبد الجبار: تنزيه القرآن عن المطاعن (ص ٢٨٣)، طبعة مكتبة اليناقد، القاهرة، سنة (٢٠٠٦ م).

○ فقال الإمام الرازي - في تفسيره لقول الله ﷻ  
لرسوله ﷺ ﴿ سَتَرْتُكَ فَلَا تَنسَى ﴾ (١) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا  
يَخْفَى ﴿ [الأعلى: ٧٦-٧٧] ..

﴿ سَتَرْتُكَ ﴾ أي سجعلك قارئاً، بأن نلهمك القراءة  
﴿ فلا تنسى ﴾ ما تقرأه، والمعنى: نجعلك قارئاً للقرآن تقرأه  
فلا تنساه. أي سنعلمك هذا القرآن حتى تحفظه. ونظيره قوله:  
﴿ لَا تُغْنِيكَ يَوْمَئِذٍ كُنَّاكَ لِتَعْمَلَ بِهِ ﴾ [القيامة: ١٦] ..

ثم ذكروا في كيفية ذلك الاستقراء والتعليم وجوهاً:  
أحدها: أن جبريل ﷺ سيقراً عليك القرآن مرات حتى  
تحفظه حفظاً لا تنساه.

وثانيها: أنا نشرح لك صدرك ونقوي مخاطرك حتى  
ستحفظ بالمرة الواحدة حفظاً لا تنساه.

والقول المشهور: في ﴿ فَلَا تَنسَى ﴾ أنه خبر، والمعنى: ستروك  
إلى أن نصبر بحيث لا تنسى وتأمين من النسيان، كقولك: سأكسوك  
فلا تعري، أي فتأمين العري.

أما قوله: ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ .. فقال الفراء [١٤٤ - ٢٠٧ هـ/  
٧٦١ - ٨٢٢ م]:

إنه تعالى ما شاء أن ينسى محمد ﷺ شيئاً إلا أن المقصود  
من ذكر هذا الاستثناء بيان أنه - تعالى - لو أراد أن يصير ناسياً  
لذلك لقدر عليه، كما قال: ﴿ وَلَمَّا نَسُوا لَنَدْهَنَ وَأَلْيَٰ



أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴿ [ الإسراء : ٨٦ ] ، ثم إنا نقطع بأنه تعالى ما شاء ذلك .  
وقال لمحمد ﷺ : ﴿ لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْطُونَ عَمَلُكَ ﴾ [ الزمر : ٦٥ ] -  
مع أنه ﷺ ما أشرك البتة ..

وبالجملة ، ففائدة هذا الاستثناء أن الله - تعالى - يعرفه  
قدرة ربه حتى يعلم أن عدم النسيان من فضل الله وإحسانه  
لا من قوته .. فالغرض من قوله ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ نفى النسيان  
رأساً ، كما يقول الرجل لصاحبه : أنت قسيم فيما آتاك  
إلا ما شاء الله ، ولا يقصد استثناء شيء .. ذلك أنه لو نسي شيئاً  
من الواجبات ولم يتذكره أدى ذلك إلى الخلل في الشرع ، وإنه  
غير جائز <sup>(١)</sup> .

٥) ويقول الرازي - أيضاً - في العصمة من النسيان -  
عند تفسيره لقول الله - سبحانه - : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ أَلَمِيكَ الْحَقُّ  
وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي  
عِلْماً ﴾ [ طه : ١١٤ ] ..

١) روي أنه عليه السلام كان يخاف أن يفوته منه شيء ، فيقرأ  
مع الملك ، فأمره بأن يسكت حال قراءة الملك ، ثم يأخذ  
بعد فراغه في القراءة ، فكانه تعالى شرح كيفية نفع القرآن  
للمكلفين ، وبين أنه - سبحانه - متعال عن كل ما لا ينبغي ،  
وأنه موصوف بالإحسان والرحمة ، ومن كان كذلك وجب

أن يصون رسوله عن السهو والنسيان في أمر الوحي، وإذا حصل الأمان من السهو والنسيان قال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ .. «(١)».

○ كما قال الرازي - أيضًا - في تفسيره لقول الله - سبحانه -: ﴿لَا تُخْرِكَ بِهِ لِكَفِّكَ لِحَافِلِهِ﴾ (٢) ﴿إِنَّ عَلَيْكَ جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٣) ﴿إِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَقَ قُرْمَانَهُ﴾ (٤) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْكَ يَأْتِيهِ﴾ [القيامة: ١٦-١٩]: قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْكَ﴾ يدل على أن ذلك كالواجب على الله تعالى.. وذلك الوجوب بحكم الوعد.. لأن المقصود من البيعة لا يتم إلا إذا كان الوحي محفوظاً مبرأ من النسيان، فكان ذلك واجباً نظراً إلى الحكمة «(٥)».

○ وفي تفسير ذات الآية - ﴿لَا تُخْرِكَ بِهِ لِكَفِّكَ لِحَافِلِهِ﴾ (٦) ﴿إِنَّ عَلَيْكَ جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦، ١٧] - يقول الإمام ابن كثير: «أي نجمعه في صدرك ثم نقرؤه على الناس من غير أن ننسى منه شيئاً» «(٧)».

ويقول - ابن كثير - في تفسير آية سورة الأعلى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى﴾ (٨) ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ [الأعلى: ١٧، ١٨]: «﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ يا محمد ﴿فَلَا تَنسَى﴾ وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه بأنه سيقروءه قراءة لا يساهها» «(٩)».

(١) الرازي: التفسير الكبير (٢٢/ ١١٥).

(٢) المصدر السابق (٣٠/ ٢٠١).

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٦٧).

(٤) المصدر السابق (٣/ ١٧٦).

○ وفي تفسير هذه الآيات: ﴿سَتَقْرُوكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (١) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٢) وَلَيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿١﴾ (الأعلى: ١٨ - ٢٠) .. يقول الإمام القرطبي:

" قوله تعالى ﴿سَتَقْرُوكَ﴾ أي القرآن يا محمد فتعلمه ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ أي فتحفظ.. وهذه بشرى من الله تعالى، بشره بأن أعطاه آية بينة، وهي أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي وهو أُمِّي لا يكتب ولا يقرأ، فيحفظه ولا ينساه.

وعن ابن أبي نجيع عن مجاهد قال: كان يتذكر مخافة أن ينسى، فقيل: كفيته.. ووجه الاستثناء على هذا، ما قاله القراء: إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، وهو لم يشأ أن تنسى شيئاً، كقوله تعالى: ﴿حَكِيمٌ فِيهَا مَا كَانَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ (هود: ١١٨) .. ولا يشاء. ويقال في الكلام: لأعطينك كل ما سألت إلا ما شئت، وإلا ما شاء أن أمنعك. والنية على أن لا يمنعه شيئاً، فعلى هذا مجازي الأيمان، يستثنى فيها نية الخالف النمام (١).

○ وفي العصر الحديث، فسر هذه الآيات - آيات سورة الأعلى - إمام المجددين الأستاذ الإمام محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ/ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) (التفسير الذي يشهد على عقيدة العصمة للرسول ﷺ من النسيان.. فقال: ﴿سَتَقْرُوكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (١) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿١﴾ (الأعلى: ١٨ - ٢٠) :

« أي ستنزل عليك كتابًا تقرأه ولا تنسى منه شيئًا بعد نزوله عليك.

ولما كان الوعد على وجه التأييد واللزوم بما يوهم أن قدرة الله لا تسع تغييره، وأن ذلك خارج عن إرادته جل شأنه، جاء بالاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، فإنه إذا أراد أن ينسبك شيئًا لم يعجزه ذلك، فالقصد نفي النسيان رأسًا.

وقالوا: إن ذلك كما يقول الرجل لصاحبه: «أنت قسيمي فيما أملك إلا ما شاء الله» لا يقصد استثناء شيء، وهو من استعمال القلة في معنى النفي. وعلى ذلك جاء الاستثناء في قوله تعالى - في سورة هود -: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَنَ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ يُحْدَوْنَ﴾ [هود: ١٠٨].. أي غير مقطوع.

فالاستثناء في مثل هذا للتنبيه على أن ذلك التأييد والتخليد بكرم من الله وسعة جوده لا بتحتميم عليه وإيجاب، وأنه لو أراد أن يسلب ما وهب لم يمتعه من ذلك مانع.

وما ورد من أنه ﷺ نسي شيئًا كان يذكره، فذلك - إن صح - فهو في غير ما أنزل الله عليه من الكتاب والأحكام التي أمر بتبليغها.. وكل ما يقال غير ذلك فهو من مدخلات الملحدين التي جازت على عقول المغفلين فلوثوا بها ما طهر الله، فلا يليق بمن يعرف قدر صاحب الشريعة ﷺ ويؤمن بكتاب الله، أن يتعلق بشيء من ذلك.

وقوله: ﴿ إِنَّهُ بِمَا لَجَّهَرٍ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ تأكيد للوعد مع الاستثناء؛ أي أن الذي وعدك بأنه سيقروك، وأنه سيحفظك ما نقرأ فلا نساء، عالم بالجهر والسر فلا يغوته شيء مما يكون في نفسك، وهو مالك قلبك وعقلك وخافي سرّك، وفي قدرته أن يحفظ عليك ما وهبك وإن كان ذلك من خفيات روحك، ولو شاء لسلبه ولن تستطيع دفعه لأنك لا تستطيع أن تخفي عنه شيئاً.. (١١).

\*\*\*

وإذا كانت هذه النماذج كافية للدلالة على إجماع علماء أهل السنة والجماعة - بمذاهبهم المتعددة.. وعبر عصورهم المتتالية - على الإيمان بالحفظ الإلهي للقرآن الكريم من التحريف والتغيير والتبديل والحذف والمحو والسهو والنسيان والزيادة والنقصان.. وعلى عصمة الرسول ﷺ من أن ينسى شيئاً مما أوحى إليه من القرآن والأحكام - تلك الفرية التي قال بها الجابري - سامحه الله - .. والتي قال عنها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: «إنها من مداخلات الملحدين، التي جازت على عقول المغفلين، فلو ثوابها ما طهر الله.. فلا يليق بمن يعرف قدر صاحب الشريعة ﷺ ويؤمن بكتاب الله أن يتعلق بشيء من ذلك».

إذا كان هذا هو موقف علماء أهل السنة والجماعة، فإن

علماء الشيعة - بعد مراجعة مجتهداتهم لثراث « المدرسة الأخيارية » - قد اتخذوا ذات الموقف الحاسم، وانضموا إلى علماء أهل السنة والجماعة في الانتصار للحفظ الإلهي للقرآن الكريم.. وأعلنوا ذلك وهم يفسرون ذات الآية ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]..

○ فقال الطباطبائي:

« إنه ذُكِّرَ حي خالد مصون من أن يموت وينسى من أصله، مصون من الزيادة عليه بما يبطل كونه ذِكْرًا، مصون من النقص كذلك، مصون من التغيير في صورته وسياقه بحيث تنغير به صفة كونه ذِكْرًا لِلَّهِ مبینًا لحقائق معارفه، فالآية ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ تدل على كون كتاب الله محفوظًا من التحريف بجميع أقسامه.. فالقرآن محفوظ بعد إنزاله إلى الأبد.. »

○ وقال الفيض الكاشاني - في تفسير ذات الآية -:

« ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ من التحريف والتفسير والزيادة والنقصان.. »

○ وقال الشيخ أبو علي الطبرسي [ ٥٤٨هـ / ١١٥٣م ]

في تفسير ذات الآية:

« ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ عن الزيادة والنقصان والتحريف

والتغيير.

وعن الحسن: معناه: يتكفل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو

عليه، فننقله الأمة ونحفظه عصرًا بعد عصر إلى يوم القيامة.  
 لقيام الحجة به على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبي ﷺ.  
 ولا يندرس ولا ينسى..».

○ وقال السيد المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي - المتوفى [٤٢٦هـ / ١٣٠٥م] :-

« إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث  
 الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب  
 المسطورة، فإن العناية اشتدت، والدواعي توفرت على نقله  
 وحراسته، وبلغت إلى حد لم تبلغه فيما ذكرناه.

لقد كان القرآن على عهد رسول الله ﷺ مجموعًا مؤلفًا  
 على ما هو عليه في ذلك الزمان، حيث عيّن النبي على جماعة  
 من الصحابة حفظهم له، وكان يعرض على النبي عدة ختمات،  
 وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعًا مرتبًا غير مبتور  
 ولا ميثوث.. ومن خالف في ذلك لا يُعتد بخلافه؛ لأن المخالفين  
 نقلوا أخبارًا ضعيفة ظنوا صحتها، ولا يرجع بمثلها على المعلوم  
 المقطوع على صحته..».

○ وقال المرجع آية الله أبو القاسم الخوئي [١٣١٧ -  
 ١٤١٢هـ / ١٨٩٩ - ١٩٩٢م] في تفسيره لذات الآية:

« إنها تدل على حفظ القرآن من التحريف، وأن الأيدي الجائرة



لن تتمكن من التغلب فيه.. »<sup>(١)</sup>.



ولقد نقل الجابري - الذي افترى على علماء الإسلام، وادعى عليهم الإجماع على حدوث سقط لآيات وسور من القرآن، عند تدوين مصحف عثمان - نقل عن الإمام الخوئي اتفاقه مع علماء أهل السنة والجماعة في « أن جمع القرآن إنما كان بأخذه من « القراء » الحافظين، ومن « المواد المكتوب عليها »، وأن هذا الجمع إنما كان جمعه في مصحف ».

كذلك نقل عنه استشهاده بما كتبه الحارث المحاسبي في المراحل الثلاث لجمع القرآن الكريم..

ونقل الجابري عن الخوئي كذلك « أن الله قد أطلق لفظ الكتاب على القرآن في كثير من آياته الكريمة.. »، وأن جمع عثمان للقرآن إنما كان « جمع المسلمين على قراءة مصحف إمام واحد.. وليس جمع الآيات والسور في مصحف ».

ثم ختم الجابري نقله لأراء الخوئي بقوله:

« إن الروايات التي ذكرها الخوئي هي نفسها التي روتها

(١) انظر ذلك في: رسول جعفریان: أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة، طبعة طهران، سنة ( ١٩٨٥ م )، وطبعة مكتبة النافذة، القاهرة، سنة ( ٢٠٠٦ م )، بتقديم: د. محمد عمارة، وانظر كذلك: مجمع البيان لعلوم القرآن للطبرسي ( ١٢٠ / ٦ )، طبعة القاهرة، سنة ( ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م )،

المصادر السنية<sup>(١)</sup>.

أي أن الجاهلي يتحدث عن إجماع علماء السنة والشيعة على أن القرآن محفوظ.. ومعصوم من التغيير والتبديل والمحز والسهو والنسيان.. وأنه كان « كتاباً » و « مصحفاً » حاملاً لكل ما نزل به الوحي قبل عصر عثمان بن عفان.. يعترف الجاهلي بإجماع علماء الإسلام - سنة وشيعة - على هذا.. ومع ذلك.. وبالرغم من ذلك يدعي - في ذات الكتاب - وبعد صفحتين فقط من هذا الاعتراف - « أن جميع علماء الإسلام، من مفسرين ورواة حديث وغيرهم، يعترفون بأن ثمة آيات وربما سور قد سقطت ولم تندرج في المصحف »<sup>(٢)</sup>!! وهكذا تبلغ المتناقضات بأفراء الرجل درجة اللامعقول!!



تلك هي « مقالات علماء الإسلام » بمذاهبهم المختلفة.. وعبر عنصورهم المتواليّة، التي أجمعت واجتمعت على:

- عصمة الأنبياء والمرسلين من الكتمان أو النسيان
- لشيء من الوحي والأحكام التي أمروا بإلّاغها إلى الناس.. وعصمتهم من كل ما يُنفّر أو يشين..
- والحفظ الإلهي للقرآن الكريم من أي تحريف أو تغيير

(١) في التعريف بالقرآن ( ص ٢٢١ ).

(٢) المرجع السابق ( ص ٢٢٣ ).

أو تبديل أو حذف أو محو أو سهو أو نسيان..

وهي « المقالات » التي مثلت « عقائد إيمانية » شهد بها وعليها « العقل والشرع والإجماع » فتأسس عليها قيام حجة الله على عباده، منذ بدء الوحي والتكليف وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

وهي « العقائد الإيمانية » التي جاء الدكتور المجابري - سامحه الله، وغفر له - لينقضها، عندما زعم أن القرآن الكريم قد حدث فيه: أخطاء.. ونسيان.. وتبديل.. وحذف.. ومحو.. وسقط...!!! وأن المصحف الإمام - مصحف عثمان - الذي اجتمعت عليه الأمة - لم يضم القرآن كله...!!!

كذلك تغافل الرجل - صاحب المنهجيات الحديثة الغربية.. والنزعة النقدية - عن أن القول بحدوث التغيير والتبديل في القرآن الكريم إنما يعني قدرة الذين أحدثوا ذلك على أن يأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم، فالتغيير والتبديل يقتضيان القدرة على الإتيان « بالغير » و « البديل » .. وفي القول بهذا - والعياذ بالله - تكذيب لرب العالمين، الذي تحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله:

﴿ قُلْ لَّيْ أَسْمَعُ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ يُفْقَهُنَّ ظُهُورًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]..

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٢) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿ [الطور: ٣٤، ٣٣] ..

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَزَّلَهُ فُلٌ فَأَتُوا بِعَشْرِ أُنُوفٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِينَ ﴾ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ [هود: ١٣] ..

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٥٣) إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتُخِذُوا النَّارَ آلِيًا وَهُؤُودُهَا النَّاسُ وَالْجَارَةُ أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿ [البقرة: ٢٣، ٢٤] ..

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَزَّلَهُ فُلٌ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨] ..

يتجاهل الجابري كل هذه الكوارث الفكرية، التي تقضي إليها "جهالاته.. وافتراءاته"، ويمضي ليبلغ قمة الكذب البواح عندما يدّعي "أن جميع علماء الإسلام، من مفسرين ورواة حديث وغيرهم، يعترفون بأن ثمة آيات وربما سور قد سقطت ولم تدرج في نص المصحف".

○ لقد كذب على الله عندما شكك - بل نفى - الحفظ الإلهي للقرآن الكريم.

○ وكذب على رسوله ﷺ عندما نفى عقيدة عصمة الأنبياء والمرسلين..

○ وكذب على صحابة رسول الله ﷺ - الذين رضي

اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ - عندما شكك - بل نفى عنهم  
الأمانة - في تدوينهم كامل القرآن الكريم في المصحف  
الإمام..

○ وكذب على صاحب الخلق العظيم ﷺ على صحابته  
وحواريه الذين صنعهم على عينه - عندما وصفهم بمحترفي  
الحروب.. وقطاع الطرق، جرياً وراء الغنائم - التي قال إنها  
قد صارت جزءاً أساسياً في الكيان الإسلامي بعد الهجرة  
إلى المدينة!..

○ كما كذب على جميع علماء الإسلام عندما نسب  
إليهم الإجماع على هذا الكذب الذي قال!!..

\*\*\*

عزمت الجابري



وبعد ...

ففي ختام هذه الدراسة.. ومن باب التذكير بما سبق أن قدمناه من « معالم الجهالات والافتراءات الجابرية ».. فإننا نعيد تذكير القراء بنصوص الرجل الشاهدة على هذه « الجهالات.. والافتراءات »:

« ففي المنهج: أعلن الجابري عن تبنيه للمنهجيات والفلسفات والمفاهيم الوضعية المادية، التي تعود إلى « كانت » [١٧٢٤ - ١٨٠٤ م] و« فرويد » [١٨٥٦ - ١٩٣٩ م] و« باشلار » [١٨٨٤ - ١٩٦٢ م] و« ألتوسير » [١٩٢١ - ١٩٩٠ م] و« فوكو » [١٩٢٦ - ١٩٨٤ م] و« ماركس » [١٨١٨ - ١٨٨٣ م]، التي - كما قال - « أصبح الفكر المعاصر لا يتنفس بدونها »..

« وفي الموقف من تراث الإسلام: أعلن الجابري عن:

○ « ضرورة الأخذ بالحدائث الأوروبية في مختلف الميادين »..

○ « والعودة للتراث واحتوائه، لتجاوز كل التراث »..

○ « فالحدائث تبدأ باحتواء التراث وامتلاكه، لإقامة سلسلة من القطائع معه »..

○ « والإبداع لا يتم إلا على أنقاض القديم »..

○ « وتحليل بنية التراث هدفها القضاء عليه، وذلك بتحويل الثابت إلى متحول.. والمطلق إلى نسبي.. واللاتاريخي إلى تاريخي.. واللازمي إلى زمني.. »

○ « ونحويل العقيدة إلى رأي.. »

○ « ولا بد من التحرر من العناصر الرئيسية للمرجعية التراثية: اللغة.. والشرعية.. والعقيدة.. والسياسة..! إذ لا سبيل إلى تجديده العقل إلا بالتحرر من هذه العناصر الرئيسية التي تتكون منها المرجعية التراثية.. »

• وعن الرسول ﷺ وأمنه ودولته وصحابته: أعلن الجابري:

○ « أن عصمة الأنبياء والمرسلين هي من الأفكار المسبقة، التي اكتسبت طابعاً مذهبياً وسياسياً في الفكر الإسلامي.. »

○ « وأن الرسول ﷺ كان يتباه أشعور بأفضل في مهمته.. »

○ « وأن العقد الاجتماعي الذي تأسست عليه الدولة والكيان الإسلامي بالمدينة كان عقداً حريئاً.. »

○ « وأن الهجرة إنما كانت من أجل تنظيم الحرب ضد قريش.. »

○ « وأن الرسول ﷺ والصحابة المهاجرين قد بدأوا حياتهم - بالمدينة - بقطع الطرق على قريش والقبائل الأخرى.. »

○ « وأن الغنime قد صارت حاضرة في الغزوات والمرايا،



وجزءاً أساسياً في الكيان المادي لجماعة المسلمين منذ تأسيس هذا الكيان بالمدينة ..

« وعن القرآن الكريم: ادعى الجابري:

« أن المصحف الإمام - مصحف عثمان - الذي بين يدي المسلمين - لم يضم كل القرآن ..

« وأن تدوين هذا المصحف - على عهد عثمان بن عفان - قد حدثت به أخطاء .. ونسيان .. وتغيير .. وتبديل .. وحذف .. ومحو .. »

« وأنه - ( الجابري ) - يخمن أن ثلث سورة « براءة » قد سقطت من مصحف عثمان ..

« وأن جميع علماء الإسلام من مفسرين ورواة حديث وغيرهم، يعترفون بأن ثمة آيات وربما سور قد سقطت ولم تدرج في نص مصحف عثمان ..

\*\*\*

تلك هي بعض « معالم الفكر » للجهول المفتري - الأستاذ الدكتور محمد عابد الجابري - التي جاءت بكتابه، الذي شاء الله أن يختم به حياته، والذي خصصه للتعريف بالقرآن الكريم.. ولتفسيره حسب ترتيب النزول..

وهي الجهالات والافتراءات التي عرضناها - بالدراسة، والنقد، والتفنيد - في هذا الكتاب..

○ بقي أن نقول:

- إنه لولا أن هذه « الأكاذيب الجاهلية » مطبوعة ومنشورة.  
تشيع هذا « الفحش الفكري » بين الناس.. لما كتبنا عنها حرفاً  
واحداً..

- وإنا نرجو - بهذا التصحيح الذي قدمناه - انقاذ عشول قراء  
كتاب الجاهري من هذا الزيف وهذه الأكاذيب.. التي أشاعها  
ويشيّعها كتابه هذا الذي كتبه عن القرآن الكريم.. وآملين أن  
يخفف ذلك من تبعات هذا الرجل - الذي أصبح الآن في رحاب  
مولاه.. وصدق الله العظيم:

﴿ إِنْ لَّمْ يَنْفَعِمْ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَعْفِمْ مَا دُوتَ ذَلِكَ لِمَنْ يَكْفُرْ ﴾

[النساء: ١٨٦] ..





## المصادر والمراجع

آرنولد - سيرتوماس:

- الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النجراوي، طبعة القاهرة سنة (١٩٧٠ م).

ابن تيمية:

- الفتاوى، طبعة دار الوفاء، مصر، سنة (١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م).

- بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، طبعة القاهرة سنة (١٣٢١ هـ).

- منهاج السنة النبوية، طبعة القاهرة، سنة (١٣٢١ هـ).

- كتاب الرد على المتطهين، طبعة دار المعرفة، بيروت.

ابن حزم:

- الفصل في الملل والأهواء والنحل، طبعة ضبيح، القاهرة.

ابن رشد:

- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دراسة وتحقيق:

د. محمد عمارة، طبعة دار المعارف، القاهرة، سنة (١٩٨٣ م).

ابن عبد البر:

- الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق: د. شوقي ضيف، طبعة

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، سنة (١٩٦٦ م).

ابن كثير:

- تفسير القرآن العظيم، طبعة دار التراث، القاهرة.

د. أحمد شلبي.

- مقارنة الأديان، طبعة القاهرة.

أمين الخولي:

- عن القرآن الكريم، تقديم: د. محمد عمارة، طبعة نهضة مصر،

القاهرة، سنة (٢٠٠٠م).

ذ. الجابري - محمد عابد:

- مدخل إلى القرآن - في التعريف بالقرآن، طبعة بيروت، سنة (٢٠٠٧م).

- فهم القرآن، ثلاثة أقسام، طبعة بيروت، سنة (٢٠٠٨م).

- حرار الشرق والغرب، طبعة الدار البيضاء، سنة (١٩٩٥م).

- إشكالية الفكر العربي المعاصر، طبعة الدار البيضاء، سنة (١٩٨٩م).

- الخطوط العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية، طبعة الدار البيضاء،

سنة (١٩٨٢م).

- المشروع النهضوي العربي، طبعة بيروت، سنة (٢٠٠١م).

- التراث والجدالة، طبعة الدار البيضاء، سنة (١٩٩١م).

- تكوين العقل العربي، طبعة بيروت، سنة (١٩٨٨م).

د. جوتفرايد كونزل:

- مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا، تقديم وتعليق: د. محمد عمارة،

طبعة نهضة مصر، القاهرة، سنة (١٩٩٩م).

الحوادث المحاسني:

- مائة العقل وحقيقة معناه، تحقيق: د. حسين الفوناني، طبعة بيروت،

سنة (١٩٧٨م).

الرازي - فخر الدين:

- التفسير الكبير، طبعة دار الفكر، القاهرة.

الراغب الأصفهاني:

- كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: د. أبو يزيد العجمي،

طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٨م).

- المفردات في غريب القرآن، طبعة دار التحرير، القاهرة، سنة

(١٩٩١م).

رسول جعفریان:

- أكاذيب تحريف القرآن بين السنة والشيعة، طبعة طهران، سنة (١٩٨٥م).

وطبعة مكتبة الناقد - القاهرة، سنة (٢٠٠٦م) بتقديم: د. محمد عمارة.

رشيد رضا:

- الوحي المحمدي، طبعة مكتبة الوقاء، دار المنارة، القاهرة، سنة (٢٠٠٨م).

رفاعة الطهطاوي:

- الأعمال الكاملة، (ج ٤) دراسة وتحقيق: د. محمد عنارة، طبعة بيروت، سنة (١٩٧٧م).

زالمأن شازار - محرر:-

- تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، ترجمة: د. أحمد هويدي، مراجعة وتقديم: د. محمد خليفة حسن - طبعة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة (٢٠٠٠م).

الزمخشري:

- الكشف، طبعة طهران.

سلامة موسى:

- اليوم والغد، طبعة القاهرة، سنة (١٩٢٨م).

السيوطي:

- أسباب النزول - طبعة القاهرة، سنة (١٣٨٢هـ).

- الإتيان في علوم القرآن - طبعة القاهرة، سنة (١٩٣٥م).

الطبرسي:

- مجمع البيان لعلوم القرآن، طبعة القاهرة، سنة (١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م).

القاضي عبد الجبار بن أحمد:

- المعني في أبواب التوحيد والعدل، (ج ١٥) تحقيق: محمود

الخضيري، د. محمود قاسم، مراجعة: د. إبراهيم بيومي مذكور، إشراف:

د. طه حسين، طبعة القاهرة، سنة (١٣٨٥هـ)

- تثبيت دلائل النبوة، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، طبعة بيروت، سنة

(١٩٦٦م).

- تنزيه القرآن عن المطاعن، طبعة مكتبة الناقد، القاهرة، سنة

(٢٠٠٦م).

القاضي عياض:

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، طبعة القاهرة، سنة (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

الغزالي - أبو حامد -:

- الاقتصاد في الاعتقاد، طبعة صبيح، القاهرة.

- مشكاة الأنوار، طبعة القاهرة، سنة (١٩٠٧م).

- المصنوع به على غير أهله، طبعة مكتبة الجندي، القاهرة.

- ميزان العمل، طبعة المطبعة العربية - القاهرة.

القرطبي:

- الجامع لأحكام القرآن، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

الماوردي:

- أدب القاضي، طبعة بغداد (١٩٧١م).

د. محمد حميد الله - محقق -:

- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، طبعة القاهرة، سنة (١٩٥٦م).

محمد سعيد العشماوي:

- الإسلام السياسي، طبعة القاهرة، سنة (١٩٨٩م).

- أصول الشريعة، طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٧م).

محمد عبيد:

- الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة بيروت، سنة

(١٩٧٢م).. وطبعة دار الشروق، القاهرة، سنة (٢٠٠٦م).

د. محمد علي أبو هندي:

- مشروع النهضة بين الإسلام والعلمانية: دراسة في فكر محمد عمارة

ومحمد عابد الجابري، طبعة دار السلام، القاهرة، سنة (٢٠١٠م).

د. محمد عمارة:

- التيار القومي الإسلامي، طبعة دار الشروق، القاهرة، سنة (١٤١٧هـ/

١٩٩٧م).

- الإسلام بين التثوير والتزوير، طبعة دار الشروق، القاهرة، سنة (١٩٩٥ م).
- سقوط الغلو العلماني، طبعة دار الشروق، القاهرة، سنة (٢٠٠٢ م).
- مقام العقل في الإسلام، طبعة نهضة مصر، القاهرة، سنة (٢٠٠٧ م).
- الإسلام والآخر: من يعترف بمن ومن ينكر من؟ طبعة مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، سنة (٢٠٠١ م).
- الأنبياء في القرآن الكريم والكتاب المقدس، طبعة مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، سنة (٢٠١٠ م).
- الفاتيكان والإسلام، طبعة مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، سنة (٢٠٠٧ م).
- حقائق وشبهات حول القرآن الكريم، طبعة دار السلام، القاهرة، سنة (١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م).
- محمد فؤاد عبد الباقي:
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، طبعة دار الشعب، القاهرة.
- مركز دراسات الوحدة العربية:
- الحوار القومي الديني، طبعة بيروت، سنة (١٩٨٩ م).
- د. وات - مؤتجمري -:
- الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ترجمة: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، طبعة مكتبة الأسرة، القاهرة، سنة (٢٠٠١ م).
- الواخدي:
- أسباب النزول، طبعة القاهرة، سنة (١٩٨٦ م).
- موسوعات:
- دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية - طبعة دار القاهرة، سنة (١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م).



## الكتاب في سُطُور

الجايري؛ رحل عن عالمنا بجسده كما سرحل نحن وسرحل كلُّ ما عدا الله؛ فلن يبقى إلا وجهه. لكن مشروعه الفكري ما زال قائماً، قرأه ويقرأه الناس، ولذا فمن حق هذا الفكر .. وحق قرائه أن يقال فيه كلمة تحليه؛ خصوصاً وأن الأمر يتعلق " بالمقدس " .. يتعلق بالوحي. ذلك الرحم الذي ولدت منه الأمة وتبلور منه الدِّين الذي استعرت الحرب ضده واشتد أوارها. وانطلاقاً من الاحترام لقراء المشروع الجابري الفكري نعرض ما كتبه عن القرآن بالدراسة التي نرجو أن يكون فيها نقد وتصويب مرشد لقراء كتاب الجابري عن القرآن الكريم... ومن ثم مُزيلاً لما فيه من تأثيرات سلبية على عقول القراء.

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة - مصر ١٢٠ شارع الأزهر - من به ١٦١ القوية  
هاتف: ٢٢٧٠٢٨٠ - ٢٢٧١٥٧٨ - ٢٢٧٢٢٨٢ - ٢٢٧٢٢٨٣ - ٢٢٧٢٢٨٤

فاكس: ٢٢٧٢١٧٥٠ (٠٢٠٢)

الإسكندرية - هاتف: ٥٢٢٢٦٠٩ فاكس: ٥٢٢٢٢٠٢ (٠٢٠٢)

[www.dar-alsalam.com](http://www.dar-alsalam.com) [info@dar-alsalam.com](mailto:info@dar-alsalam.com)

2591 978-977-842-166-2



9 789773 429652